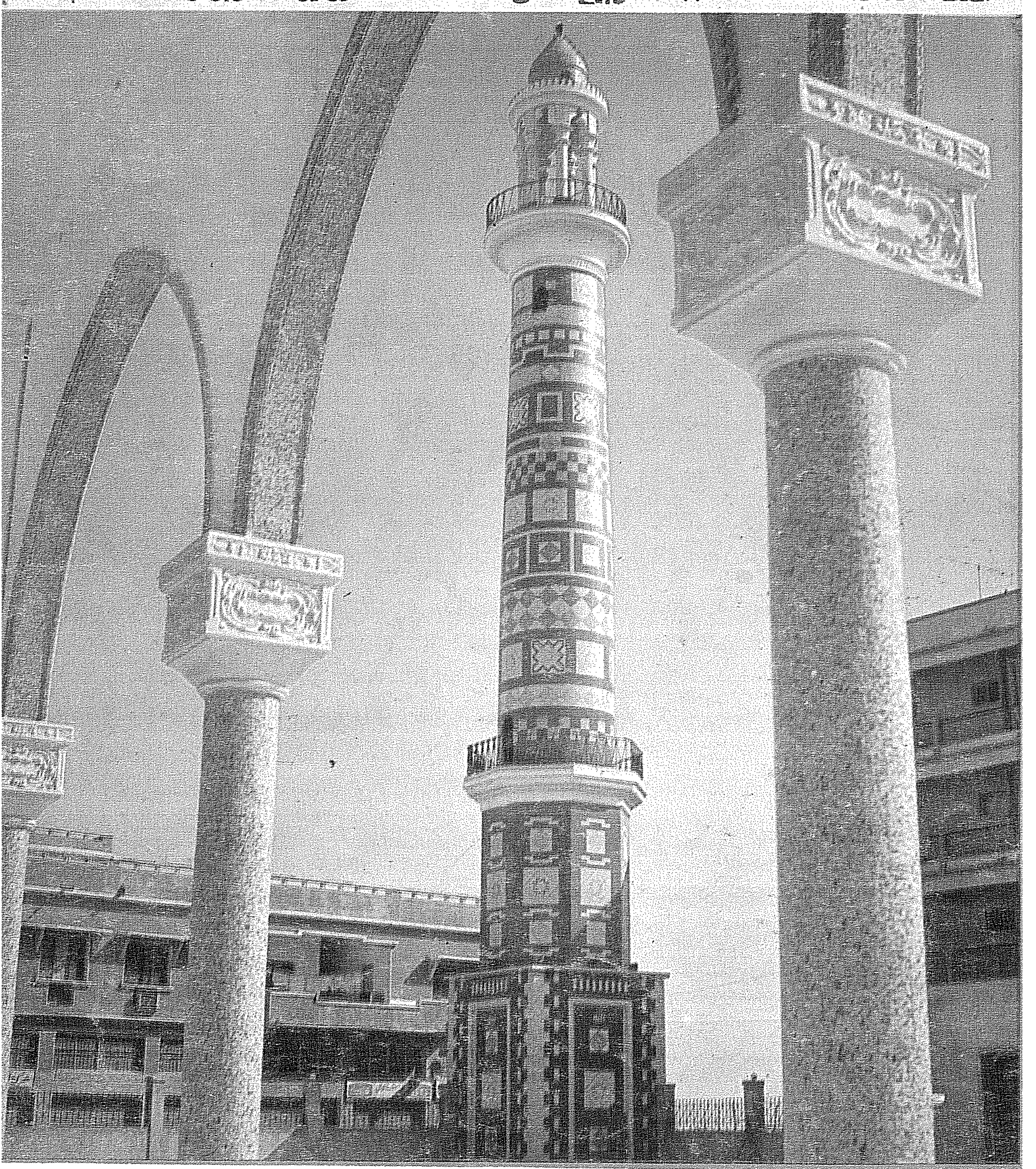
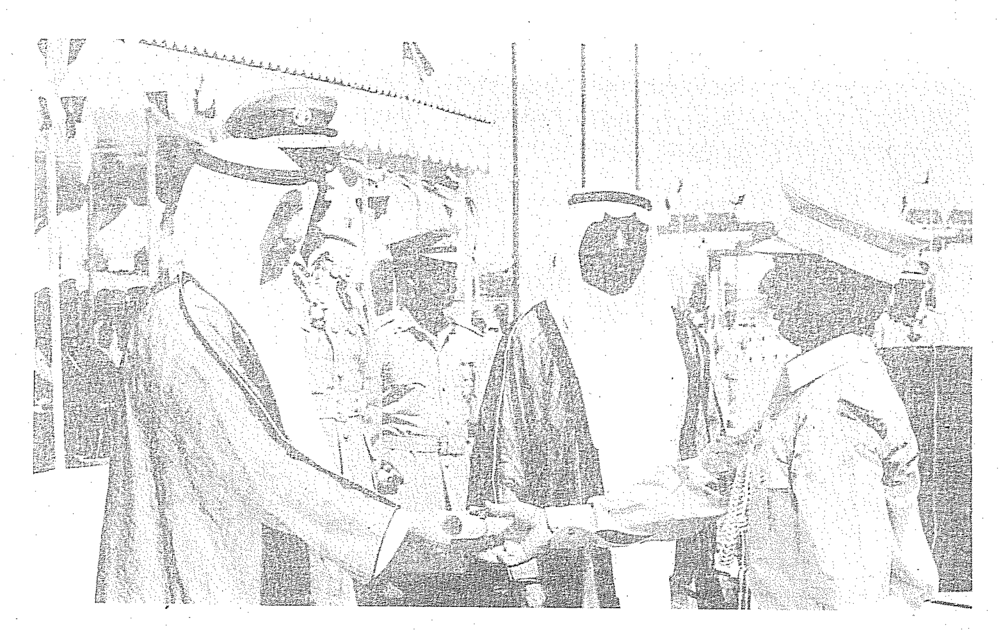
الوعي الإسلامي

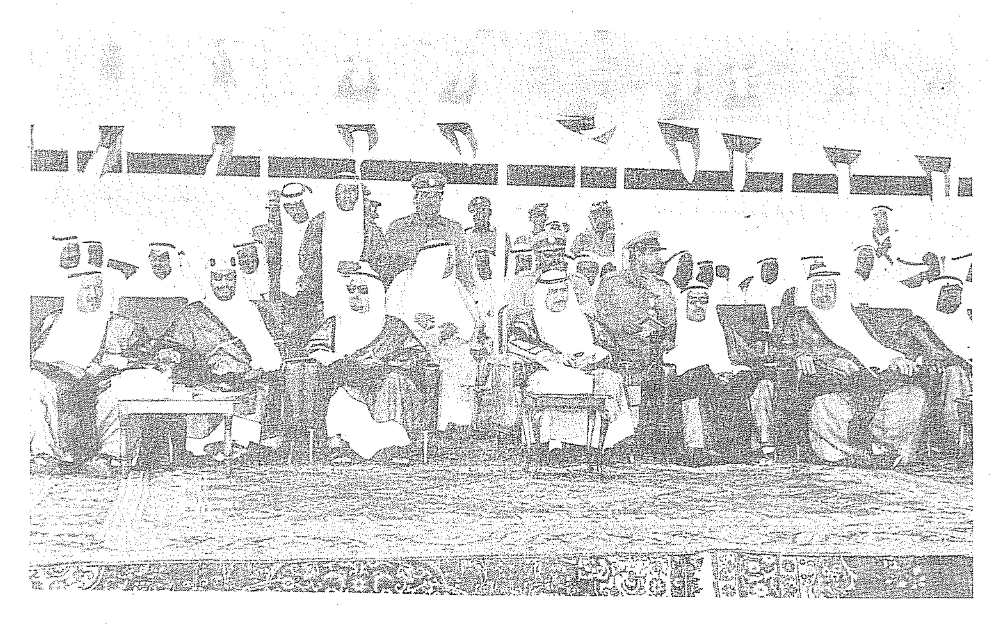
اسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة ــ العدد ٦٤ ــ ربيع الثانى ١٣٩٠ هـ ــ ٥ يونيو « حزيران » ١٩٧٠ م

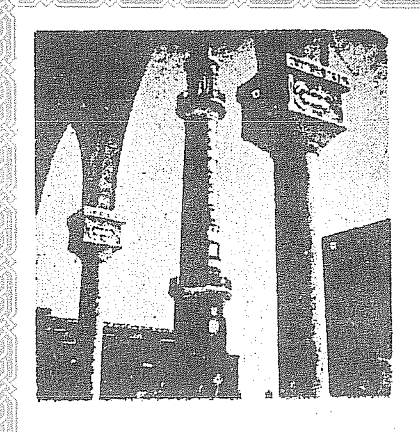




سمو الامير المعظم وهو يسلم الشهادات للخريجين .



تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة فشمل برعايته السامية ، قبل ظهر أمس الاثنين ١٩٧٠/٥/٤ ، حفل تخريج الدفعة الاولى من ضباط الكلية العسكرية . ويبدو سمو الامير وسمو ولي العهد وعدد من الشيوخ والوزراء وهم يتابعون العرض العسكرى الذى جرى بهذه المناسبة .



مسجد الفاضل بمدينة ((المنامة)) عاصمة البحرين وتبدو فى الصورة منارته الرشيقة بنقوشها الجميلة وبعض العقود فوق الاسطوانات المرتفعة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الرابع والستون

ربيع الثانى ١٣٩٠ هـ

٥ يونيو « حزيران » ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

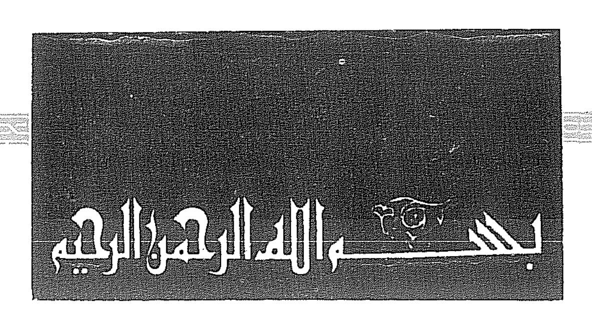
فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت



حديث الشهر

اليهود والاسلام

هذا التحدى العسكرى والسياسى والفكرى الذى يواجهه الاسلام اليوم ليس هو الأول ، ولا الأخير . وهذه المؤامرة الاسرائيلية السافرة ، والايدى التى تساندها ، وتخطط لها ليست جديدة على الاسلام والمسلمين .

لقد واجه الاسلام فى تاريخه الطويل خصومات حاقدة ، وعداوات كافرة ، حاولت سحقه ، وهددته بالفناء ولكنها باءت كلها بالفشل ، وانتهت جميعها بالهزيمة ، ونصر الله دينه ، واعز جنده : ((ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا)) ((والله متم نوره ولو كره الكافرون)) .

وتاريخ المسلمين العسكرى تاريخ مضىء مشرق .. وصفحاته عامرات بالبطولات والتضحيات ، اذ لم يخل جيل من الأجيال ، ولا عصر من العصور من حروب دامية خاضها المسلمون حماية للحق ، وردا للظلم وقمعا للعدوان ، وكسرا للجبارين .

اشتبك المسلمون فى نزاع مسلح مع الوثنيين ، واشتبكوا مع أهل الكتاب من الروم وغيرهم ، واشتبكوا مع اليهود ، فما وجدوا عدوا أسود قلبا ، ولا أشد خبثا ، ولا ألأم نفسا ، ولا الد خصومة ، ولا أعنف عداوة من اليهود .

ولهذا نزل القرآن الكريم على الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ينبهه ويحذره ، ويؤكد هذا التنبيه والتحذير للمؤمنين فى جميع العصور من هذا العدو ، فقال سبحانه : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) .

وكشفت آيات الكتاب العزيز للمسلمين عن كثير من سوءاته ومخازيه مع رسالات الله السابقة كدليل حى على شدة اجرامه ، ووجوب الحذر منه .

فهو عصى على كل اصلاح ، متمرد على كل هداية ، ملعون فى الزبور على لسان داود ، وفى الانجيل على لسان عيسى ، بسبب غدره بعهود

الله ، واعتدائه على رسل الله ، وجراته على محارم الله ، وتحالفه مع الشيطان لاطفاء نور الله : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) .

ان تاريخ اليهود مع المرسلين تاريخ اسود ، مخضب بدم حملة الوحى ورسل الهداية ، ولا يزالون يحملون لعنة الله ، وتلاحقهم سبة التاريخ نتيجة ولوغهم فى هذا الدم الطهور الزكى الذى لم يرو ظمأهم اللاهث منه دم رسول واحد ، ولا اثنين ، وقد فضحهم الكتاب الكريم ، فقال سبحانه : (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) ومن قبل القرآن سجل عليهم الانجيل على لسان عيسى عليه السلام نهمهم لاراقة الدماء ، وتعطشهم للجريمة ، فقال : يا اورشليم .. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين .. كم مرة أردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها .. ولم تريدوا .. هو ذا بيتكم يترك خرابا . هذا الكلام موجود فى انجيل متى فى الاصحاح الثالث والعشرين .. وما اظن انه غاب عمن يساندون اسرائيل من اتباع المسيح .

ان تاريخ اليهود مع المرسلين تاريخ اسود ، وتاريخهم مع خاتم المرسلين أشد سوادا .. لقد التقى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجها لوجه فى المدينة ، فسالمهم ، وتودد اليهم ، وزارهم ، وطمأنهم ، وتعاهد معهم فى صحائف مكتوبة ، كفل لهم فيها حرية دينهم واقامة شعائرهم ، وأمنهم على انفسهم وأموالهم ، واتفق معهم على حماية المدينة من كل عدوان ، والدفاع عنها ضد كل مغير ، وطلب منهم ألا يحاربوه ، وألا يعينوا عليه عدوا ، وأعطاهم كثيرا من الامتيازات ، فأباح للمسلمين طعامهم ، وأجاز لهم التزوج من نسائهم ، وبدأ صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فصاهرهم ((وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)) واتخذ بيت المقدس قبلة له تأليفا لقلوبهم ، وكانوا يصومون يوم عاشوراء ، فلما قدم المدينة ، ورآهم يصومونه قال : ما هذا ؟ قالوا : يوم نجى الله فيه بنى اسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنا أحق بموسى منكم ، فصامه ، وأمر المسلمين بصيامه .

فهل قدر اليهود هذه المعاملة الحسنة من جانب رسول الله والمسلمين ، وهل كانت رغبتهم صادقة فى معايشة المؤمنين فى المدينة فى سلام ، وهل احترموا عهدهم ووفوا بوعدهم ؟ .

لقد اثبتت التجربة الحية أن اليهود لا امان لهم ، ولا عهد لهم ، فهم غادرون ، خائنون ، لا يعاشرون ولا يسالمون ولا يوثق لهم بعهد ، ولا يقفون فى عداواتهم عند حد اذ لم

تمضي الا فترة قصيرة على هذه المعاهدة حتى تكشفت نفوسهم المريضة ، وظهرت نواياهم الخبيثة ، وتأججت نيران الحقد في صدورهم .. لم ينظروا بعين الرضا الى الانتصارات التي حققها المسلمون ، بل خافوا من امتداد رواق الاسلام وانتشار نوره ، وكان كل انتصار جديد يحرزه المسلمون يزيد في غيرتهم ، ويدفعهم الى الغدر ، ويفيض على السنتهم عداوة وبغضا ، والقرآن الكريم يصور للمسلمين في دقة بالغة نفسية اليهود ويحذر من الاطمئنان اليهم والثقة بهم ، والاعتماد على هذه المعاهدة فيقول سبحانه : (قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . ها انتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور . ان تمسسكم حسنة تسوءهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) .

رفضوا جوار الرسول ، وتنكروا الأمان الذى أعطاه لهم ، ولم يكفوا عن أساليب الختل والخديعة التى مرنوا عليها ، فدسوا الدسائس ، واثاروا الفتن ، ودبروا الاغتيالات وتآمروا مع المشركين ، وتآمروا مع المنافقين ، ودخلوا في نزاع مسلح مع المسلمين ، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجمعين على التنكيل به ومحو دين الله استدار لهم ، فقضى على سلطانهم ، وحطم نفوذهم ، وطهر الجزيرة من رجزهم ودنسهم ، وكان ذلك بوحي من السماء وأمر من رب العالمين : (فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) .

هذه الصفحات المطوية من تاريخ التحالف مع اليهود ننبه اليها ، ونضعها أمام أعين العرب والمسلمين فى هذه الفترة التى يلوح لهم فيها بايثار العافية واختصار الطريق والجنوح الى السلام المسموم ، ولعل التجارب الثلاث التى مرت بنا فى السنوات ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ تقطع بأنهم على طبيعة الحيات اذا أحست بالدفء نفثت سمومها فى أقرب الناس اليها .

. . . .

وبجانب هذه الحقيقة التى ينقلها التاريخ الصادق وتؤكدها التجارب الحية عن عنف اليهود فى عداواتهم للاسلام ، وعدم جدوى مسالمتهم — تبرز حقيقة أخرى هى الصلف والغرور والادلال بالقوة ، وقديما قالوا لرسول الله بعد انتصاره في غزوة بدر : (يا محمد : أرأيت أنا قومك ؟ لا يغرنك ان لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس !!

ان اليهود مع ما تأصل فيهم من الجبن والخوف والحرص على الحياة ، ومع ما عرف عنهم من أنهم لا يعتمدون فى

حروبهم على تسيير جيوشهم في الفضاء الرحب ، وانهم يكرهون لقاء عدوهم في الميادين المكشوفة ، وكانت خطتهم في الحرب قديما القتال من وراء الحصون والجدر : (لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر) كما ان خطتهم في الحرب حديثا الاعتماد على سلاح الطيران حيث يكونون بمنجاة من اللقاء وجها لوجه .. مع هذه الطبيعة الجبانة فانهم لا يستسلمون من قريب ، ولا يلقون السلاح الا اذا اعيتهم الحيل ، ويئسوا من العون والنصير .

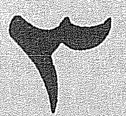
لقد اجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني قينقاع من المدينة ، فلم يستسلم الباقون منهم ، فكر على يهود بني النضير ، وقاتلهم في حصونهم حتى اخرجهم منها ، فلم يرضخ الباقون ، فحاصر بني قريظة خمسا وعشرين ليلة ، ونكل بهم ، فلم يلق الباقون منهم السلاح ، فنزل خيبر ، وقال : خربت خيبر ، خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، فحاربوه في كل منطقة ، وقاوموه من حصن الى حصن ، وما زال يتعقبهم حتى قضى على سلطانهم ، وبقيت قلة منهم ، فلما كان عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارسل اليهم : ان الله اذن لي في اجلائكم ، فقد بلغني ان رسول الله قال : لا يجتمع في جزيرة العرب دينان ، واجلى عمر البقية الباقية منهم .. فلم يكن سوى الاجلاء حل آخر الأمن الاسلام وامن المسلمين .

ان يهود اليوم هم يهود الأمس في طباعهم الغليظة ، وقلوبهم القاسية ، لم ينطفىء حقدهم ولم تضعف عداوتهم ، وماذا بقي من العداوة بعد الالوف التي ذبحوها في فلسطين ، والالوف التي عذبوها في السجون ، والالوف التي أحرقوها بالنابالم .. ماذا بقي من العداوة بعد الارض التي اغتصبوها ، والدور التي نسفوها ، والاموال التي نهبوها ، والمقدسات التي احرقوها ، .. ماذا بقي من العداوة بعد عشرات الالوف من المشردين والمهجرين .. ان القرآن الكريم الذي نزل من عشرين قرنا كأنه ينزل اليوم فينبه المسلمين الى خطرهم .. ((لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا)) .

ان يهود اليوم هم يهود الامس لا يعايشون ، ولا يسالمون ، ولا مقام لهم في ارضنا ، وان القتال الناشب بيننا وبينهم يجب ألا يتوقف حتى ينتهي بنصرة المظلومين وطرد الظالمين : ((قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين)) ((الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا)) .

من توجيه
القرآن الكريم

مظاهر المادية



ا الشرك بالله

ب النفرة من سماع الدعوة لوحدة الألوهية

ج الاعتزاز بالقوة المادية في المال والأولاد

د تقييم الناس على أساس الثراء والجاه والعصبية

هـ السخرية من المؤمنين والضعفاء

و انكار البعث

ز انكار الحياة الأخروية

في اتجاه الحياة

للدكتور : محمد البهي

✻ من غير شك أن يكون الشرك بالله — فى صورة ما — أهم مظاهر المادية فى اتجاه الحياة للانسان . فمن طريق الشرك وحده يصل الانسان المادى الى هدفه من المتع الحسية والوقوف عندها وحدها . لأنه لا يطالب عندئذ بالروحية ولا بالمثالية ولا بالانسانية .

فاقتناص المتع الحسية يحتاج الى الممالأة والنفاق . وأمز هذا وتلك مضمون بالتقلب نحو مصادر النفع والضرر . وليس الشرك الا هذا التقلب فى عبادة من تؤمل فيه المنفعة أو الحماية من الضرر .

✻ وترتبط بظاهرة الشرك هذه فى اتجاه المادى فى الحياة ظاهرة النفرة من سماع دعوة الوحدة فى الالوهية ، اذ هى دعوة شمول دون التقلب فى العبادة وفى سبيل السعى نحو جلب المنفعة أو دفع الضرر .. هى دعوة الى القيم المثالية التى ترتفع فوق المتع الحسية ، والتى لا يتجه اليها سوى من تخلص من سيطرة « الأنانية » عليه .

والقرآن اذ يقول فى وصف أصحاب هذا الاتجاه المادى فى الحياة :

« واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » .

« واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » (١) .

... يحدد يقينا هذه الظاهرة المشتركة فى حياة المادى ، وهى ظاهرة الشرك ، والكفر بالله وحده . فعدم الايمان بالآخرة هنا : **« الذين لا يؤمنون بالآخرة »** يرمز الى الشرك وهو ظاهرة أخرى من ظواهر الاتجاه المادى فى الحياة ، نتيجة للشرك والكفر بالله وحده . والتعبير بقوله : **« واذا ذكر الذين من دونه »** يراد به ما دون الله من الأصنام والأوثان . وكما تكون هذه الاصنام والاوثان أحجارا تكون من الناس ، والأموال ، والأولاد ، والمتع الحسية والجاه الدنيوى ، وهم الشركاء المساعدون الذين يتجه اليهم المادى فى حياته هاشا وفرحا .

فاذا ذكرت الدعوة الى وحدة الله في الوهيته وذكرت صفاته — وهى تعبير عن القيم المثاليـة العليا — سد طريق الشرك أو طريق التقلب والنفاق . أي طريق الوصول الى المتـع الحسية .

فدعوة التوحيد توحي لمن يؤمن بها ان يقف في عبادته عند اللـه وحده ، ويتمثل فى نفسه صفاته جل جلاله ، كى يقترب بهذه العبادة منه . والمؤمن بالله لا يقترب منه عن طريق العبادة الا اذا حاول أن يحاكى هذه الصفات فى تصرفاته وسلوكه : فيحاكي العلم ، والخلق ، والقدرة ، والحياة ، والارادة ، والغنى ، والرحمة والشدة ، .. الى غير تلك الصفات التى تعرف لله سبحانه وتعالى .

والمؤمن بالله اذ يحاكي هذه الصفات فى التصرفات والسـلوك لا يحتاج الى وسيلة أو وسائل ، ولا الى شريك أو شركاء للـه جـل شأنه ، فى تحقيق منفعة مادية أو دفع ضرر مادي . لانه نفسه لا يقف عند حـد المتع الحسـية الدنيوية كهدف أخير فى حياته . وانما يتطلع الى متع أخـرى فى مرحلة ثانية في وجود الانسان أكثر خيراً وأبقى نفعا . ثم مع ذلك يرى : أنه بتحصيل العلم ، واتقانه العمل والابداع فيه ، وبدفعه فوق الشهوات والاهواء ، وبقنـاعة فى الاستمتاع بما يملك .. وغير ذلك عن طريق عبادته ، يحس بمتعة نفسية أكثر من تلك المتع الماديـة . بل ربما يرى أنه فى تنازله عما يملك أو يقتنى من متع الى غيره من أصحاب الحاجة يزيد في متعة ذاته وفى الاحساس بهذه المتعة .

فالنفرة من سماع دعوة الوحدة فى الالوهيـة أمارة الماديـة فى اتجاه الحياة للانسان . لانها تنطوى على حرمان جزئى على الأقل من المتع المادية . وهو ذلك الحرمان الذى يفرضه المؤمن بالله وحده على نفسه ، ان تعين الحرمان سبيلا الى الاقتراب من الله فى صفاته .

والاستبشار عند سماع ما دون الله من شركاء متمثلين فى انسان أو فى مال أو فى أولاد ، أو فى حجر ، هو صنم ، امارة الماديـة فى اتجـاه الحيـاة للانسان . لانها هي الهـدف الـذى يسعى اليه المادى ، ولان تحصيله — لهذا الهدف — يثير المتعة الحسية لديه . فالتقرب من انسان ذى جاه أو سلطان ، وتحصيل المال ، ووجود عصبيـة الاولاد من شأنها أن تثير الفخـر والزهـد ، كما من شأنها أيضا أن تزيد فيما يستمتع به الانسان المتقرب الى أى منها .

❋ وبالاضافة الى هذه الظاهرة المزدوجة فى حياة المـادى توجد ظاهرة أخرى تكـاد تكون تعبيرا عما تنطوى عليه نفس صاحب هذا الاتجاه . وهى الاعتزاز بالقوة المادية فى المال ، والاولاد ، والاعداد ، نقرأ قول الله تعالى :

« وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها (اصحاب التجاه المادى) :
١ — « انا بما ارسلتم به كافرون » .
٢ — « وقالوا : نحن أكثر اموالا واولادا ، وما نحن بمعذبين » .
« قل : ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ، ويقـدر ، ولكن اكثـر النـاس لا يعلمون » .
« وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها (أصحاب الاتجاه المادى) : صالحا ، فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم فى الغرفات آمنون » (٢) .

... فبينما من وجهت اليهـم دعوة التوحيد فى الالوهية وانذروا من رسولهم ان هم عارضوها ، يعلنون كفرهم بها ، وهـم من أصـحاب الترف

واليسار : « .. الا قال مترفوها : انا بما ارسلتم به كافرون » .. اذا هم فى الوقت نفسه يرفضون الانذار والتهديد من رسولهم ، معتزين بأنهم أكثر أموالا وأولادا من غيرهم ، وبالاخص من المؤمنين : « **وقالوا : نحن اكثر اموالا واولادا** » ومن أجل انهم أكثر أموالا وأولادا فهم يتصورون أنهم لا يعذبون ، أى لا ينال منهم وعيد ولا تهديد ، وكذلك لا ينال منهم عقاب وعذاب ان وقع عليهم بالفعل : « **وما نحن بمعذبين** » .

فمن يتجه اتجاه المادى فى الحياة يغتر بما يحصل من أموال وثروات ، ويطغى بما تكون له من عصبة فى الأولاد والاسرة . ويعتقد بما له من قوة الثراء والأولاد أن السوء لا يقترب منه ، وأنه بأمواله وأولاده يتصور أنه يستطيع أن يفعل ما يريد . يتصور أنه يستطيع أن يكون ذا جاه ونفوذ أكثر ممن يمارس الجاه والنفوذ بالفعل : « **كلا ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى** » . يتصور أنه يستطيع أن يشارك الله فى تدبير الكون وتوجيه حياة المجتمع والأمة . بل يتصور أنه يستطيع أن يكفر بربه وبنعمه ، بسبب ما لهذه النعم الكثيرة من تأثير عليه فى الغرور والطغيان : «**واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه** » . « **ان الانسان لربه لكنود . وانه على ذلك لشهيد** » . وحتى لو نزعت منه قوة المال والاولاد فترة يتذوق فيها الحرمان فانه لو عادت له هذه القوة مرة أخرى سيعود هو سيرته الاولى فى الاعتزاز والغرور طالما يتمكن منه الاتجاه المادى : « **ولئن اذقناه** (الانسان) **نعماء بعد ضراء مسته ليقولن : ذهب السيئات عنى ، انه لفرح فخور** » (٣) .

انه اتجاه المادية يجعل الانسان يغتر بما يملك من قوة ، حتى تجعله يجترىء على ربه فيكفر به : « **يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ؟** » رغم انه هو : « **الذى خلقك فسواك فعدلك . فى اى صورة ما شاء ركبك !** » (٤) . رغم أنه الخالق له فى أحسن صورة ، ورغم أنه المنعم عليه بأسباب القوة المادية التى يغتر بها الآن . ولكنها المادية تعمى ولا تبصر ، وتضل ولا تهدى . ولكى لا يترك القرآن الكريم حجة صاحب الاتجاه المادى فى الحياة فى الاعتزاز بالأموال والاولاد تأخذ الطريق الى نهايته فى الحجية كسبب للاعتزاز والغرور وقف ليقرر حقيقته :

الأولى : أن المال فى كثرته وقلته هبة من الله للانسان ، ولا شأن له بالايمان والكفر .. لا شأن له بالاتجاه الصحيح فى الحياة أو الخاطىء فيها : « **قل : ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » . فهم لا يعلمون بسبب الغرور بالمال وقوة تأثيره فى الحياة على الادراك والحكم .

الثانية : أنه لا صلة للاموال والاولاد برضاء الله عمن تكون له أموال وأولاد . فالأموال والأولاد بمعزل تماما عن مقياس الرضاء عند الله . ومقياسه الحقيقى يتمثل فقط فى الايمان ، والعمل الصالح المستقيم : « **وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون** » (٥) .

وبتقرير هاتين الحقيقتين أصبح لا يستند صاحب الاتجاه المادى فى الحياة فى غروره واعتزازه بالأموال والأولاد الى حجة واقعية . فما عنده اليوم من أموال قد ينتقل الى غيره غدا . وما له من أولاد الآن قد يسيئون اليه بعد وقت من الزمن ويصبحون عليه نقمة بعد أن تصورهم نعمة . والاموال والاولاد اذن ليست من الأمور الذاتية التى تلازم ذات الانسان فى غده ، كما هى له فى

يومه . ومبعث سرور الانسان يجب أن يكون فيما هو أبقى ، وليس فيما هو متغير ومتقلب .

* وعن الاعتزاز بالقوة المادية في المال والاولاد لدى صاحب الاتجاه المادى في الحياة ، يتكون عنده مقياس التقييم للآخرين عداه على أساس من الثراء والجاه والقوة المادية ــ ان في الاولاد والقبيلة ، أو في السلطة ... ويبعد كل ما له علاقة بانسانية الانسان في تقييمه وتقديره .

وما جاء في سورة الزخرف من قصة فرعون مع موسى عليه الصلاة والسلام يعطى ما للمتع والقوة المادية من أثر في تقييم الناس ووضعهم في درجات التقييم المختلفة . نقرأ قوله تعالى في هذه السورة :

١ ــ **« ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال : انى رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا** (معجزاتنا) **اذا هم منها يضحكون . وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها . »**

٢ ــ **« واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون . وقالوا : يا ايه الساحر ! ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون »** .

٣ ــ **فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون . ونادى فرعون فى قومه قال : يا قوم ! اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ؟ »**

٤ ــ **« أم انا خير من هذا الذى هو مهين (موسى) ولا يكاد يبين .»**

٥ ــ **« فلولا القى عليه اسورة من ذهب ، او جاء معه الملائكة مقترنين . فاستخف قومه فاطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين »** (٦) .

... فهذه الآيات تجمل خمس مراحل فى تطور علاقة موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ كرسول أرسل من قبل ربه الى فرعون مصر وملائه ، كمجموعة تمكن من نفوسهم حب المتع الدنيوية واعطيت من أسباب القوة المادية المال والرجال ، والجاه والملك والسلطة ، وبذلك لا ترد فى التقييم للبشر سوى ما تملك هى من مصادر القوة والاعتزاز .

المرحلة الاولى وصول موسى عليه الصلاة والسلام الى فرعون وملائه بما يؤيد دعوته الى الوحدة فى الالوهية من معجزات ، وعرضه هذه المعجزات معجزة بعد أخرى ، وهى تتفاوت فى التفوق بعضها على بعض ، ومع ذلك كان الرد على دعوته بالضحك وبالكفر بها : **« ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين . فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون . وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها »** .

المرحلة الثانية : مجازاة فرعون وملائه على هذا الرفض والكفر بالقحط فى انتاج الحقول والنقص فى ثمار الحدائق سنين عديدة ، لعلهم يرجعون فيكشفون غطاء المادية فى اتجاههم فى الحياة عن عيونهم ويعودون الى الايمان بالله وحده : « **واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون** » . والعذاب الذى أخذوا به هو ما تحكيه الآية الاخرى فى سورة الاعراف : « **ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين** (قحط المحاصيل ــ والتعبير عنها بالسنين لانها كل سنة) **ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون »** (٧) . وعندما تضرروا بالقحط ونقص الثمرات سنين عديدة ناشدوا موسى عليه الصلاة والسلام أن يدعو ربه بما عهد اليه من الرسالة وبما اختاره لادائها ، أن يكشف عنهم هذا العذاب ، وهو عذاب القحط ونقص الثمرات .وكان عذابا فى حقيقة أمره لان معيشة سكان وادى النيل تقوم على الفلاحة والزراعة . فاذا أصيب الزرع والثمر بتلف أو ضرر كان الجوع وكانت مآسى الفقر والضيق .

ناشدوا موسى ان يدعو ربه ، على أن يؤمنوا برسالته ، اذا ذهب عنهم هذا الضنك ، أو هذا العذاب : « **وقالوا : يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ، اننا لمهتدون** » .

المرحلة الثالثة : أنه بعد أن كشف عنهم العذاب ، الذى تمثل فى القحط والضيق سنين عديدة عادوا فنكثوا بما عاهدوا عليه من اهتداء وايمان . وغلب عليهم الاتجاه المادى فى حياتهم وخدعوا من جديد بما لديهم من قوة ومتع حسية وأعلن فرعون الزهو بملكه ، وتملكه الغرور الذى سد عليه منافذ العقل والحكمة : « **فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون . ونادى فرعون فى قومه ، قال : يا قوم ! : أليس لى ملك مصر ، وهذه الانهار تجرى من تحتى ، أفلا تبصرون ؟** » .

المرحلة الرابعة : ان فرعون فى موجة الزهو والفخر بملكه وبقوته وبما لديه من أموال وثراء عبر عن احتقاره لموسى عليه الصلاة والسلام وقاس منزلته بمقياس المادة وحدها التى تتمثل فى المظهر وفى القدرة على الاستمتاع بمتع الحياة الدنيا : « **أم انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين** (يقصد موسى) ؟ »

المرحلة الخامسة : وانه تبعا لمقياس المادة وحدها كان يمكن لفرعون وملائه أن يصدقوه لو قدم اليهم فى صورة ثرى القيت عليه اسورة من ذهب : « **فلولا القى عليه اسورة من ذهب** » . لانه عندئذ يكون ذا منزلة اجتماعية تعطيه الحق فى النقاش ، كما تعطى لقوله امكانية القبول والتصديق . فهو عندئذ ليس بذى حاجة لا يسمع قوله ولا تقبل دعوته .

فاذا لم يكن على صورة الثرى عديم الحاجة الى الغير فلا أقل من أن تصحبه بعض الملائكة للتدليل على شأنه واحداث فرصة لقبول دعوته : « .. **أو جاء معه الملائكة مقترنين** » . وفرعون كان ماديا ، أى يغلب عليه الاتجاه المادى فى الحياة ، وله خصائص أصحاب هذا الاتجاه . وهو اذ ينكر على موسى — عليه الصلاة وسلام — رسالته ويرفض الايمان بها ويتخذ من الآيات والمعجزات التى عرضها مادة للضحك ، كل ذلك بسبب انه من الضعفاء الاذلاء فى مظهرهم الذين لا يستطيعون أن يتزينوا بما يتزين به الأثرياء وأصحاب الجاه . ويترك قيمته الذاتية وقيمة رسالته الموضوعية التى هى لصالح المجتمع فى علاقات بعضه ببعض ، وراء المظهر الخارجى له . أى أن مقياس القبول أو الرفض ليس موضوع الرسالة ولا خصائص الذات وقيمتها التى لموسى عليه السلام ، وانما هو مظهر موسى من الفقر أو الثراء .

* والذى يقدر الناس على أساس من فقرهم أو غناهم ، أو على أساس ضعفهم وقوتهم المادية ، أو على أساس مدى استمتاعهم بمتع الحياة أو مدى حرمانهم .. لا شك أنه يسخر من الفقير أو الضعيف او المحروم ، مهما كانت استقامته فى السلوك ، وحكمته فى التصرفات ، وانسانيته فى معاملة الآخرين ، فى الوقت الذى يوفر فيه الاحترام للثرى أو القوى أو المستمتع بالحياة المادية ولو كان ظالما لنفسه ولغيره أو معتديا على الآخرين فى حرماتهم ، وأنفسهم ، وأموالهم ، ومساكنهم .. ولو كان أنانيا ومتغاليا فى احترامه وخضوعه ، ومنافقا فيما يقدم من مظاهر الاحترام للغير والولاء له .

هذه الظاهرة — ظاهرة السخرية من الفقراء والضعفاء مهما كان شأنهم وكانت قيمتهم فى ذواتهم — هى أمر طبيعى لمن يسيطر عليه الاتجاه المادى فى

حياته . بقدر زينة الدنيا وبقدر من يتزين بها ، ويحتقر القيم المثالية ومن يسمى اليها ، ان حرم من الدنيا ومالها من زينة ومتعة :

١ — ((زين للذين كفروا الحياة الدنيا)) ، ٢ — ((ويسخرون من الذين آمنوا ،)) ٣ — ((والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ،)) ٤ — ((والله يرزق من يشاء بغير حساب)) (٨) .

. . . والآية هنا تعطى ما يتصوره الماديون بالنسبة للقيم فى الحياة ، وكذلك ما هو عند الله فى حقيقة الأمر وواقعه . تعطى :

ان الذين يكفرون بالله ، يخدعون بالحياة الدنيا ، وتبدو لهم على غير حقيقتها . . تبدو لهم أنها الامل والهدف ، ولا شىء آخر وراءها . وسواء أكان كفرهم هو سبب خداعهم بالدنيا ، أم أن خداعهم بالدنيا هو سبب كفرهم . . فالامران ظاهرتان لا تنفك احداها عن الاخرى فى السلوك لصاحب الاتجاه المادى .

ولأنهم يقعون تحت تأثير الخداع بزينة الحياة الدنيا ، لا يرون فى غير هذه الزينة شيئا يستحق التقدير وتمنح له القيمة . ولذا الذين لا يملكونها ليس لهم وزن فى التقدير والتقييم ، وهم لذلك موضع سخرية واستخفاف ممن يملكونها .

والمؤمنون لأنهم عادة لا يتشبثون بمتع هذه الحياة الدنيا ، فى سبيل هدف أسمى بعدها وهو هدف الرسالة والجهاد فى سبيلها ، فليسوا من أصحاب الزينة الدنيوية ، وبالتالى هم محل سخرية واستخفاف فى نظر من يصنع القيمة كل القيمة على المتع الدنيوية وحدها : ((**ويسخرون من الذين آمنوا**)) .

ولكن حقيقة الامر وواقعه : أن المؤمنين لهم الدرجة العليا عند الله فى آخرته ، وأنهم متفوقون فى منزلتهم على أولئكم الماديين : ((**والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة**)) .

وأن متع الدنيا اذا أعطيت لانسان ما لا تعطى له بسبب ايمانه أو كفره ، فهى من الله . وكما يعطيها الله لمن يشاء ، فهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لمن يشاء . وفى بسطه للرزق قد يبسطه بغير حدود : ((**والله يرزق من يشاء بغير حساب**)) . فالرزق ومتع الحياة الدنيا كلها عطاء وحرمان ، وسعة وضيقا لا تتبع الايمان والكفر ، وليست بالتالى عنوانا على القيمة والمنزلة . بل أساس القيمة فى التقوى والايمان ، وليس فى المال والثراء وجاه الدنيا .

ولكنها ظاهرة المادية فى اتجاه الحياة تأخذ طريقها فى السخرية والاستخفاف بمن لا يملك من الدنيا زينة او متعة ، كما تأخذ الطريق الى صور أخرى تعبر عنها .

ومن المظاهر الضرورية لأصحاب الاتجاه المادى فى الحياة انكار ((البعث)) وانكار ((الآخرة)) كلية بما فيها من جزاء . . بما فيها من جنة ونار .

اما انكار البعث فلان البعث ضرورة تترتب على النظرة الى الدنيا على أنها مرحلة أولى فى حياة الانسان ، هى مرحلة ((الاختبار)) فى العمل والسلوك ، وأن ما فيها من متع حسية من زينة ومال وولد لا يمثل المتع النهائية فى حياة الانسان عامة ، وأنها أدنى بكثير من تلك المتع التى هى خالصة للمؤمنين فى الحياة الثانية ، وهى حياة الآخرة .

والبعث اذن بناء على هذه النظرة هو بداية المرحلة الثانية التى ستنتقر اما الى جنة أو الى نار فى الدار الآخرة ، تبعا لنوعية العمل الذى قام به الانسان فى الدنيا .

ولكن من يرى متع الحياة الدنيا متعا نهائية ، وأن الدعوة الى الانصراف عن

تحصيلها هي دعوة خادعة ومضللة لا بد أن ينكر متعا أخرى وراءها . وبالتالى ليست هناك فى نظره حاجة الى « بعث » ولا الى دار أخرى يستمتع أو يشقى فيها الانسان . وليس هناك تقييم آخر لعمله فى الدنيا .. ليس هناك حساب ولا وزن لما عمل من قبل . والمقاييس التى تستخف بمتع الدنيا أو تقنن السلوك والاعمال فيها هي مقاييس وضعت لهدف واحد ، وهو الحيلولة دون الاستمتاع بزينة هذه الحياة لأكبر عدد ممكن من الناس ، كى تتوفر هذه الزينة لقلة قليلة منهم فقط ، وهم الذين يستطيعون اقتناصها بطاقاتهم وقوتهم المادية المثلة فى الشرف والجاه ، أو المال والاولاد .

فالبعث فى نظر أصحاب الاتجاه المادى جزء من « مركب » — هو الجزاء الاخروى ، والدار الآخرة ، والجنة والنار فيها — يستهدف الظلم فى توزيع متع الدنيا بحرمان من يستطيع السعى الى تحصيلها عن طريق اغرائه ببريق هذا « المركب » .

والقرآن الكريم يصور النظرتين وأصحابهما فيما تقصه هذه الآيات :

« ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون » .

« وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » .

« أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون ! » .

« وقالوا : ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » (٩) .

.. فالذين اجترحوا السيئات وارتكبوا الجرائم — وفى مقدمتها الشرك والكفر بالله — فريق له نظرته فى الحياة ، وهى نظرة صاحب الاتجاه المادى . ومن اجل ذلك لا يرى الا أن الوجود الحاضر مستمر ، فى استمرار الموت والحياة وليس لهذا الاستمرار نهاية . والموت طبيعى والحياة طبيعية أى أن ما يجرى فى هذا الوجود الشاهد هو أمر طبيعى ، لا دخل لأجنبى عن الطبيعة والدهر فيه : **« ما هى الا حياتنا الدنيا** (الحاضرة والمشاهدة) **نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر** (ما يميتنا الا الدهر وما ينشئنا أيضا الا الدهر والطبيعة) » .

والذين آمنوا وعملوا الصالحات — وفى مقدمتها الايمان بالله وحده — فريق ثان له نظرته فى الحياة ، وهى نظرة المؤمن بالآخرة وبالبعث والحساب فيها ، ويرى أن الموت والحياة بيد الله ، وأن استمرار الوجود الانسانى ليس على هذه الارض وانما فى دار أخرى ، وله طابع آخر يختلف عن طابع الوجود الارضى .

وبينما الفريق الاول أعمته الطبيعة واتجاه المادية فضل على علم منه وشعور تام بوضعه ، وسدت عليه منافذ الادراك الصحيح — وهى منافذ السمع والبصر والفؤاد — وأصبح لا يتجه الا من ظلال المادية وحدها .. اذا بالفريق الثانى على هداية من ربه ، وشتان ما بين الفريقين فى محياهم ومماتهم .

وهذا الاتجاه المادى ليس وقفا على جيل معين من البشر . انما هو ظاهرة انسانية تتجلى فى كل جيل من أجيال البشرية ، ويعتبر أصلا من أصول الحياة الانسانية ، كالايمان بالله سواء بسواء . أى أن كلا منهما من ظواهر التفكير الانسانى التى تصاحبه بحكم طبيعته فى تطوره وفى مدى اختلاف الافراد فى هذا التطور .

ودعوة الايمان بالله فى أى زمن سيواجهها حتما هذا الاتجاه المادى الذى ينكر عليها دعوتها فى أصلها الذى تقوم عليه ، والله ــ سبحانه وتعالى ــ فى وجوده أو فى صفاته الاخرى بالنسبة للانسان والكون .

والقرآن ذاته يقص هذه المواجهة الحتمية التى واجهتها دعوة الايمان بالله فيما مضى ــ وتواجهها كذلك فى الحاضر والمستقبل ــ وانها لم تكن قاصرة على رسول أو داع ــ بعينه :

« **ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين** (أى من بعــد نوح ومن آمن به) . **فارسلنا فيهم رسولا منهم** (قيل : هود أو صالح أو شعيب) : **ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون ؟**

١ ــ « وقال الملأ الذين كفروا من قومه وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم فى الحياة الدنيا : ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ! ان هى الا حياتنا الدنيا : نموت ونحيا وما نحن بمبعــوثين . ان هو الا رجل افتــرى على الله كذبــا وما نحن له بمؤمنين » (١٠) .

فأصحاب الاتجاه المادى الذين ذكرت الآيات السابقة فى سورة الجاثية ، وهم مشركو مكة ، انكارهم للبعث فى مواجهة دعوة الرسول عليه الصــلاة والسلام لم يكونوا وحيدين فى تاريخ البشرية فى هذا الاتجاه . بل تذكر هــذه الآيات الاخرى التى وردت فى سورة المؤمنين وتتحدث عن أصحاب هذا الاتجاه المــادى فى خصائصهم الاساسية ــ وهى الكفر بالله ، والتكذيب بلقاء الاخرة ، والترف فى الحياة الدنيا ــ بأنهم أنكروا « البعث » فى مواجهة دعوة هود ، أو صالح ، أو شعيب اياهم : « **ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون** » . وهذا انكار سابق على انكار مشركى مكة للبعث فى مواجهة دعوة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

وسيظل انكار « البعث » فى الآخرة ظاهرة للاتجاه المــادى فى الحياة بعد الدعوة المحمدية الى يوم تقوم الساعة .

أما انكار « الآخرة » فهو لا يقل وضوحا فى نتائج الاتجاه المادى فى الحياة عن أى مظهر آخر من مظاهره . فطالما الدنيا وحدها هى مجال الحياة لصاحب هذا الاتجاه ، وطالما ما فيها من زينة ومتع مادية هى التى ينبغى أن يسعى اليها وحدها ، وطالما الطبيعة هى كذلك بقوانينها التى لا تتخلف ، ذات التأثير وحدها فى مجريات الحياة والوجود على الارض ، وطالما المقاييس التى تخفف من وزن وقيم المتع المحسوسة من أموال وأولاد وغيرها هى مقاييس قصد بها نفع القلة على حساب الكثرة .. طالما كل ذلك فلأى سبب أو لأى هدف آخر تكون الدار الآخرة ؟

انها عندئذ تكون زائدة على الوجود الانسانى ، ولا تشغل فيه فراغا ، الا فى وهم من يتجاوز فى نظرته وفى حياته هذا الوجود الدنيوى الحاضر !! هذا منطق الماديين . انهم يعيشون لوقتهم ولوجودهم الحاضر فحسب :

« ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون » (يترددون فى ضلال) » (١١) . فهم واقعون تحت خداع ما فى الدنيا من زينية ، ولا يرون شيئا آخر وراءها يستحق أن يصرفهم عنها .

ويربط القرآن الكريم بين عدم الايمان بالله وحده وعدم الايمان بالآخرة ، ويكاد يجعل عدم الايمان بالله وحده نتيجة لازمة لعدم الايمان بالاخرة ، فيمــا يقوله :

« إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » (١٢) .

.. فاذ تدعو الرسالة الالهية الى الايمان بالله وحده ، عندما تقرر : **« إلهكم إله واحد »** .. تذكر أن الذين لا يؤمنون بالآخرة من شأنهم أن تنكر قلوبهم الايمان بالله وحده ، ومن شأنهم أيضا أن يترفعوا عن سماع الدعوة الى هذا الايمان ، فضلا عن النظر في هذه الدعوة وما تنطوى عليه من حق : **« فالذين لا يؤمنون بالآخرة : قلوبهم منكرة وهم مستكبرون »** .

والامر فى مظاهر الاتجاه المادى فى الحياة لا يحتاج الى تفتيش فى أى واحد منها يستلزم الآخرة لأنها جميعها متفرعة عن أصل واحد ، هو عدم مفارقة المحسوس الى ما وراءه سواء فى ادراكه وتأمله أو فى الايمان به . وطالما وجد مظهر منها فى تصرفات انسان ما فالمظاهر الاخرى لا بد أن تكون مصاحبة له فى الوجود ، وان اختلفت درجة وجوده وظهوره للعيان .

وفى تصوير القرآن للذين لا يؤمنون بالآخرة فى قوله :

« واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به : ايمسكه على هون ، ام يدسه فى التراب ؟ الا ساء ما يحكمون ! للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم » (١٣) .

.. بأنهم المثل السيىء بين الناس ، وفى تصويره لهم كذلك فى قوله :

« وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم . وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون . ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون » (١٤)

.. بأنهم منحرفون عن الصراط السوى ، رغم أنهم يدعون اليه ، وبأنهم سرعان ما يعودون الى الطغيان والتردى فيه ، ان زالت عنهم المصائب بعد وقوعها بهم .. هذا التصوير وذاك هو تصوير لصاحب الاتجاه المادى فى الحياة وان جاء هنا فى شأن من لا يؤمن بالآخرة . ولذا يمكن أن يوصف أى انسان بدت فى سلوكه اية ظاهرة من ظواهر الاتجاه المادى بكل الخصائص التى يستلزمها هذا الاتجاه . هذا من جهة . ومن جهة أخرى يمكن : ما قيل بخصوص ظاهرة ، أن يقال فى ظاهرة أخرى :

أ) فالشرك ،
ب) والنفرة من سماع الدعوة لوحدة الالوهية ،
ج) والاعتزاز بالقوة المادية فى المال والاولاد ،
د) وتقييم الانسان على أساس الثراء والجاه والعصبية ،
هـ) والسخرية من المؤمنين ، والضعفاء والفقراء ،
و) وانكار البعث ،
ز) وانكار الآخرة ..

... كلها ظواهر أو مظاهر للاتجاه المادى فى تصرف الانسان . فاذا تقلب الانسان فى عبادته وولائه وصداقته واحترامه ، ودأب على النفاق ، واتخذ من الجبن ستارا لحسن المعاملة .. فهو مادى فى اتجاهه . ويمكن أن تلاحظ عليه بقية الظواهر الاخرى .

وكذلك اذ يعتز بالقوة المادية ، وحدها ينفر من الدعوة الى الالوهية والوحدة فيها . واذ يقيم الآخرين على أساس القوة المادية يسخر من الضعفاء والفقراء ، كما يسخر من المؤمنين الذين حرموا زينة الحياة الدنيا . واذ ينكر البعث أو اليوم

الآخر يستند الى أصحاب القوة فى الحياة وحدهم ويدل لهم ، ويستهزىء فى الوقت نفسه بكل قيمة عليا لا يجسدها حس .

يستحيل على المادى فى اتجاهه فى الحياة أن يؤمن بقول الله تعالى :

« يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » (١٥) .

. . . أو يؤمن بقوله جل وعلا :

« وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب ، وان الدار الآخرة لهى الحيوان (الحياة) **لو كانوا يعلمون »** (١٦) .

. . يستحيل عليه أن يؤمن بهذه أو بتلك . لأنه لا يؤمن بأن معرفته بالوجود الدنيوى هى معرفة سطحية . والا لما تهالك على الدنيا وزينتها ومتعها . . والا لما تركها تسد عليه منافذ الادراك دون غيرها . ولأنه لا يؤمن أيضا بأن ما فى الحياة الدنيا أن هو الا لهو ولعب . . ان هو الا قليل الاهمية بالنسبة لما فى الآخرة ، وانه لا يمثل الحياة الحقيقية ، وانما تمثلها الدار الاخرة تمثيلا صحيحا .

هو على النقيض : يؤمن بأن معرفته معرفة دقيقة ويقينية ، اذ قصرها على الوجود الحاضر المحسوس وحده ، ولم يتجاوزه الى ما هو مغيب وغير مشاهد . ويؤمن مع ذلك — أو بناء على ذلك — بأن تركيزه فى هذه الحياة الدنيا والاستمتاع بما فيها من متع وزينة انما يحيى حياة واقعية ، ويمارس نشاط الاحياء اليقظين ، وليس نشاط الاحياء فى صورة الاموات ، الذين لفظتهم الحياة بعد أن قللوا من شأنها .

والصراع بين المادى واللامادى ، أو بين الواقعى والمثالى ، أو بين الوجودى والروحى هو صراع منبثق من طبيعة الانسان ، وليس هو مفروضا على الانسان. ومعنى ذلك أنه سيظل على هذه الارض ، طالما يوجد عليها الانسان .

ومن اجل ذلك مهمة « الروحية » أو « المثالية » أو « الدين » لم تنته بعد ، مهما طغت « المادية » فى اتجاهها ، وتأثيرها ، واجتذاب الاتباع اليها . سيظل للدين دوره ، كما للمادية عنادها وجماحها ، ولو ترك « الدين » مكانه لنادته « المادية » من جديد الى الصراع معه . اذ يستحيل أن يكون الناس أمة واحدة فى الايمان أو فى الكفر . . فى الروحية أو فى المادية . ولو بدا فى لحظة ما أن الناس جميعا ماديون لتحول فى نفس اللحظة فريق منهم يزهد المادية ويقاومها ، وان لم يكن باسم دين أو باسم روحية خاصة .

كذلك لا تزول « المادية » من على هذه الارض وفيما تذكره الآية الكريمة :

« وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون » (١٧) .

. . يدل دلالة قطعية على أن « المادية » . وبعض من يتأثرون بتوجيهها — موجودة فى كل مجتمع بشرى ولا تزول اطلاقا ، ليباشر من يتبعها الانحراف والاجرام . وهم لا يسيئون الا لأنفسهم ، رغم انهم ليسوا على ادراك بهذه الاساءة . ولو بدا أن الناس جميعا أصبحوا روحيين لوقع فى ذات اللحظة : ان فريقا منهم ينصرف عن الروحية الى المادية ويسعى الى اشباع الشهوة ، واشباع الهوى ، ويبدأ فى الصراع من أجل « ماديته » أو من أجل انفصاله واعتزاله بقية الناس فى اتجاه وحده . **« ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ، ولا يزالون مختلفين . الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين »** (١٨) .

والامر الذى يزيد أو ينحسر هو عدد المؤمنين بالروحية والكافرين بها .. هو عدد الذين لا يتقاتلون على متع هذه الحياة ، وعدد من يقاتل ، ويخرب ويدمر ، وينتهك الحرمات ، ويرتكب أساليب القرصنة والغدر والخيانة فى سبيل هذه المتع المادية .

والمادية والدين اذن على طرفى نقيض . ولن تكون المادية دينا وعقيدة ، كما لا يكون الدين مادية وتقربا الى عبادة المتع المحسة . والخصومة بين الطرفين لا تحتاج الى اعلان . والمنافق هو الذى يظهر قرب المادية من الروحية أو العكس .

ويعاب على المادية طغيانها ، كما يعاب على الروحية عزلتها — ان اتجهت الى العزلة والانفصال عن الحياة الدنيوية وما فيها — وطغيان المادية لا يبقى ولا يذر على هذه الارض ما يستحق الحياة أو الوجود . وعزلة الروحية توقف حركة السعى فى هذه الحياة وتجمد النشاط البناء فى عمارة الكون وكشفه .

ولذا : كان الاسلام — الذى هو رسالة الله على لسان أى رسول — يدعو الى الحيلولة دون الطغيان عن طريق المال والاولاد والقوة المادية ، كما يدعو الى عدم العزلة وعدم الانفصالية عن الحياة الدنيا وما فيها من متع ، على نحو ما تنشد « الروحية » فى علوها ومبالغتها :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » (١٩).

.. تلك دعوة قوم قارون اليه . وعندما لم يتبعها كان جزاؤه : **« فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله ، وما كان من المنتصرين » (٢٠) .**

ان مستقبل الدين ليس الى الزوال وان كان الى الاضمحلال . وان مستقبل « المادية » ليس الى الاكتساح وان كان الى الطغيان . والحرب العالمية الثالثة هى التى ستعيد الطريق من جديد الى الايمان بالله ، والى القيم الانسانية فى عالم الانسان .

---

(١) الزمر ٤٥ .
(٢) سبا ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) هود ١٠ .
(٤) الانفطار ٥ — ٨ .
(٥) سبا ٣٦ ، ٣٧ .
(٦) الزخرف ٥٤ — ٥٦
(٧) الاعراف ١٣٠ .
(٨) البقرة ٢١٢ .
(٩) الجاثية ٢١ — ٢٤ .
(١٠) المؤمنون ٣٩ .
(١١) النحل ٥ .
(١٢) النحل ٢٢ .
(١٣) النحل ٥٨ — ٦٠ .
(١٤) المؤمنون ٧٣ — ٧٥ .
(١٥) الروم ٧ .
(١٦) العنكبوت ٦٤ .
(١٧) الانعام ١٢٣ .
(١٨) الانعام ١١٨ ، ١١٩ .
(١٩) القصص ٧ .
(٢٠) القصص ٨١ .

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافي لوزارة الأوقاف
والشئون الاسلامية

حول النبوة

مضى الحديث عبقا بالكلم الطيب من هدى سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتقى فى مسيرته بقلوب عامرة بالايمان الذى وجدت حلاوته مشربة بحب الله ورسوله ، فعبت منه ، وصار نورها الذى يهديها فى بيداء الحياة ، ورائدها الذى تقتفى خطاه فى صحراء الوجود ، ثم بدا لمطمئن الى هذا اللون من تقديم السنة المطهرة ، أن يتساءل اثر حواره مع رهط من مراهقى الثقافة الوافدة ، وعبر عن تساؤله فى ذكائه الفطن الأريب مشيرا الى تساؤل الرفاق فى أسف لما دعاه شكوكا وتسمية الحقيقة حيرة عابرة تردها نظرة فاحصة ، ثم أوضح ما يرومون بنص تساؤلهم ، ما برهان صدق النبى ، وما هى الدواعى لظهور حملة هذا الوصف على مسرح الحياة الدنيا واليس فيما منحنا من عقول الغناء الكافى للمضى نحو تحقيق أهدافنا على الأرض ؟! ولوى هذا التساؤل عنان الموضوع المعتاد الى بحث يجيب عنه ويمكن اندراجه تحت نقطتين لهما حق الامتداد الى ثالثة اذا دعا الداعى منهما تدور حول تحقيق صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتعقب الثانية ببيان ضرورة قيامهم بدورهم بين البشر .

١ — قصة الحديث حول النبوة مؤيدة ومعارضة تمتد حوادثها الى أزمان ضاربة فى أغوار الماضى ، فالانقياد الفطرى الذى لازم الدعوة الاسلامية أول أمرها ، ما لبث أن تسربت اليه عوامل الشك وانفتحت عليه أبواب الاتهامات ، حين اختلط حملة الاسلام بالبيئات التى التحفت الدين ولم تتبطنه ، وكان هذا ظاهرة طبيعية من قوم رأوا فى الدعوة الجديدة عاديا الغى دياناتهم وأتى على كثير من مقدساتهم ، وأخضع لسلطانه من كان يطاول السماء ولا يتصور أن يدانيه أحد ، وتكالب الموتورون على هذا الناشىء القوى

العود ، محاولين تقويض أركانه ، ولكن هيهات هيهات لما يرومون ، فقد عاجوا خاوى الوفاض حتى من خفى حنين ، وما كان لهم أن يحققوا مآربهم ولن يكون ! ما دام بين حملة الاسلام مفكرون يؤمنون بما حكاه التنزيل الحكيم (**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**) .. ولست أريد هنا سرد آراء أولئك الحاقدين معتنقى المزدكية والمانوية يعضدهم مارقون تصدى لهم فى وقتهم الحسن البصرى وعمرو ابن عبيد ، ثم أجبرهم على أن يأرزوا الى أجحارهم أحذق الجدليين صاحب الفكر الرصين والرأى السديد والأجوبة الباترة لشبه الخصوم ، ذلك هو (النظام) ثم تلميذه الجاحظ من بعده ، ومن نحا نحوهما على مر العصور الى يومنا هذا ، فذاك بحث فلسفى يثقل على عقول المتسائلين ،وانما سأسلك طريقا وسطا يجلو الحقيقة فى يسر ، معتمدا على ركائز من واقع حياة الأنبياء والمرسلين ، وما كان لهم من حوار مع معاصريهم ، وما اتسم به سلوكهم من استقامة وفطنة وصدق وحسن معاملة لم يرق اليها غيرهم ، فأولئك هم المصطفون الأخيار .

أ ـ قام الاجماع على أن البرهان الأول على صدقهم هو المعجزات التى ظهرت على أيديهم ، وأورد كثيرون من المتصدين لاحقاق حقهم أدلة تعضد المعجزة وتقويها وتصلح سنادا متينا يثبت نفس الدعوى ، فمن البدهى أن الكاذب يظهر كذبه واضحا فى الذى يأمر به ويخبر عنه ، كما أن الصادق يعرف صدقه من ثنايا قوله وفعله ، ويؤيد ذلك قول الله تعالى : (**ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول**) (١) وفى الحديث الصحيح (**ما اسر احد سريرة الا كساه الله جلبابها ان خيرا فخيرا وان شرا فشر**) وقال عثمان رضى الله عنه (**ما اسر احد سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه**) ... وقيل شعرا :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

ومن أصدق ما يدل على صعوبة تخلص الانسان من طبائعه ومسلكه ، وعلى عدم قدرته على التفلت من عاداته ومألوفه ، ويبرهن على أن المقدمات تتبعها نتائجها أن صدقا وان كذبا ، ما كان من موقف خديجة رضى الله عنها يوم عاد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أول لقاء له مع الوحى وبادرها قائلا : (**انى قد خشيت على عقلى**) فأجابته على الفور اجابة الدارس لسلوكه ، الفاقه لما هو عليه من خلال الخير ، الموقن بصدق فراسته وما يقول : (**كلا . والله لا يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر**) فقد خشى رسول الله عارض السوء فجاءته بما ينفيه عنه مستدلة بحميد ما درج عليه هو فى سلوكه ، ومثل هذا حكم النجاشى حين قص عليه المهاجرون الاولون الى الحبشة ما كان من أمر رسول الله فقال لهم : (ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة) ولسنا نبعد عن نفس الجادة حين نورد ما دار بين أبى سفيان وقيصر الروم كما حكاه البخارى ومسلم

والمؤرخون حول النبى صلى الله عليه وسلم ، وانتهى باقرار قيصر الروم بنبوته مستنتجا حكمه من واقع ما عليه صاحب الرسالة ، ولطرافة الحوار نذكره مفصلا بنص رواية الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك (٢) :

« عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى أبو سفيان ابن حرب قال : كنا تجارا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهدنة (٣) بيننا وبين رسول الله خرجت فى نفر من قريش تجارا الى الشام وكان وجه متجرنا منها (غزة) فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من فارس وأخرجهم منها ، وكانت (حمص) منزله فخرج منها يمشى على قدميه متشكرا لله تعالى حين رد عليه ما رد ليصلى فى بيت المقدس ، فلما انتهى الى (ايلياء) وقضى فيها صلاته ومعه بطارقة واشراف الروم أصبح ذات يوم مهموما يقلب طرفه الى السماء فقال له بطارقته : ما بك أيها الملك الغداة ، قال : رأيت فى هذه الليلة أن ملك الختان قد ظهر ، قالوا : أيها الملك ، ما نعلم أمة تختتن الا يهود ، وهم فى سلطانك ، وتحت يدك ، فابعث الى كل من لك عليه سلطان فى بلاده فمره فليضرب أعناق كل من تحت يده من يهود واسترح من هذا الهم ، فوالله انهم لفى ذلك من رأيهم يديرونه ، اذ أتاه صاحب (بصرى) برجل من العرب ، وكانت الملوك تهادى الاخبار ، بينها ، فقال : أيها الملك ، ان هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والابل يحدث عن أمر حدث فى بلاده ، فسله عنه ، فلما انتهى به الى هرقل رسول صاحب (بصرى) طلب هرقل الى ترجمانه أن يسأله : ما الحدث الذى كان ببلاده فسأله فقال : خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبى قد اتبعه أناس وصدقوه وخالفه ناس ، وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن كثيرة فتركتهم على ذلك ، فقال هرقل : جردوه ! فاذا هو مختون ، فهاج هرقل ، وصاح : هذا والله الذى أريته لا ما تقولون أعطوه ثيابه وتركه يمضى لطيته ، ثم دعا صاحب شرطته ، وأمره أن يقلب الشام ظهرا وبطنا حتى يجيئه برجل من قوم هذا النبى ، قال أبو سفيان : فوالله لنحن بغزة اذ هجم علينا صاحب الشرطة ، فقال : أانتم من قوم الرجل الذى ظهر بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : أيكم أمس به رحما ، قلت : أنا ، فقال : ادنه فاقعدنى بين يديه ، وأجلس أصحابى خلفى ثم قال : أنى سائله فان كذب فردوا عليه يقول أبو سفيان : فوالله لو كذبت ما ردوا على ولكنى كنت أمرأ سيدا تكرم عن الكذب ، وعرفت أن أيسر ما فى ذلك ان أنا كذبته أن يحفظوا ذلك على ثم يحدثوا به عنى فلم أكذبه ، فقال : أخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى ، قال أبو سفيان : فجعلت أهون له من شأنه وأصغر له أمره وأقول : أيها الملك ، ما يهمك من أمره ان شأنه دون ما يبلغك ، وقيصر لا يلتفت الى قولى . . ثم قال : أنبئن عما أسألك عنه من شأنه ، قلت : سل ودار بينهما الحوار الآتى :

قيصر : كيف نسبه فيكم ؟

أبو سفيان : محض أوسطنا نسبا

قيصر : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

أبو سفيان : لا ! ما جربنا عليه كذبا .

قيصر : لقد علمت انه ما كان ليترك الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله ، وتابع اسئلته .

قيصر : فهل كان احد من اهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبه به ؟

أبو سفيان : لا .

قيصر: فما صفة اتباعه منكم ؟

أبو سفيان : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، وأما ذوو الاسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد .

قيصر : أخبرني عمن تبعه أيحبه أم يقليه ويفارقه .

أبو سفيان : ما تبعه رجل ففارقه

قيصر : أخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟

أبو سفيان : سجال يدال علينا ويدال عليه .

قيصر : فهل يغدر ؟ـ وهنا يقول أبو سفيان ـ فلم أجد شيئا مما سألني عنه أغمزه فيه غيرها ، فقلت : لا ، ونحن منه في هدنة ، ولا نأمن غدره ، ويقول أبو سفيان : فوالله ما التفت اليها مني ، ثم كر عليه الحديث ، ثم عقب عليه قائلا : لئن صدقتني عنه ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه ، انطلق لشأنك ، قال أبو سفيان : فقمت من عنده وأنا أضرب احدى يدي بالأخرى ، واقول : اي عباد الله لقد أمر أمر ابن أبي كبشه ، أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام) .

ويعقب شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الحديث (٤) مستعرضا كلمات قيصر الروم وأجوبة أبي سفيان ويؤكد انه لم يكن من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب قط ، بل لم يعرف عنه الا الصدق وهو يتورع أن يكذب على الناس فتورعه عن أن يكذب على الله اولى وأحق ، والانسان قد يخرج عن عادته الى عادات بني جنسه ، فاذا انتفى هذا وهذا كان أبعد عن الكذب وأقرب الى الصدق وكان اتباع رسول الله من الضعفاء ، وهذا من علامات الرسل ، فاتباعهم دائما ابتداء من الضعفاء ، يحكي القرآن الكريم عن نوح عليه السلام وقومه : (**قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**) وقالوا : (**ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراى**) ـ وكان المؤمنون برسول الله يتزايدون ولا يرتد أحد منهم بعد الايمان ، وهذا من دلائل الصدق والحق ، فان الباطل لا بد وأن ينكشف آخر الأمر فيرجع عن الاتباع ويمتنع عنه من لم يدخل فيه .

وبالنظر في واقع ما يصادفنا يوميا نرى أن معرفة الناس والحكم عليهم بدراسة أحوالهم وما يشتهر عنهم وأن عقلاءهم يثبتون على نحو من الصفات والعادات لا يتجاوزونه ، وكثيرا ما يجاب المستفسر عن شخص لم تكن له به معرفة : انه ذو عقل ومروؤة وخلق ، ويسرد المسئول أدلته على قوله بما يبدو ممن يتحدث عنه ، واذا كان العكس أجاب : انه فاتك ألوى ، كاذب مداهن ، أو أنه غر جاهل أحمق الى آهخر ما هنالك من أوصاف الخير أو الشر حسبما تدور عليه حال الشخص فمن عرف بشيء شهر عنه والسلوك الخاص بكل الأنبياء كان واضحا غير خفي على معاصريهم فلم ينعتوهم بسوء أبدا الا ما يمليه الحقد الدفين والعدواة الكامنة لدى ضعفاء النفوس ومرضى القلوب .

. . .

واما أمر المعجزات ، وهى الأمور الخارقة للعادة المتحدى بها التى ظهرت على يدى الأنبياء فواضح ظاهر وما القرآن عنا ببعيد ، فهو المعجزة الخالدة لخاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ، وما كان لأحد أن يأتى بمثله ولن يكون ، وورد هذا فى أسلوب التحدى واضحا (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) ، ويذكر الشهرستانى (**ان النبوة ليست صفة راجعة للنبى ، ولا درجة يبلغ اليها أحد بعلمه وكسبه ، ولا باستعداد نفس يصل به الى الروحانيات ، وانما هى رحمة ونعمة يمن الله بها على من يشاء من عباده يصطفيه ويؤيده بالخوارق المعجزة**) ، وعقد الامام الحجة الغزالى فى كتابه (**المنقذ من الضلال**) فصلا عنوانه (**حقيقة النبوة**) قال فيه :

(**ودليل وجودها وجود معارف فى العالم لا تنال بالعقل ولا تدرك بالكسب ، فان من بحث عنها علم بالضرورة أنها لا يوصل اليها الا بالالهام الالهى ، وتوفيق من جهة الله تعالى ، ولا سبيل اليها بالتجربة فيتبين أن فى الامكان وجود طريق لادراك هذه الأمور التى لا يدركها العقل ، وهو المراد بالنبوة لا أن النبوة عبارة عنها فقط ، بل ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ، ولها خواص كثيرة سواها ، وما ذكرنا قطرة فى بحرها ، ومعجزات الأنبياء اكثر من أن يتحدث عنها ولا سبيل اليها ببضاعة العقل اصلا**) (٥) .

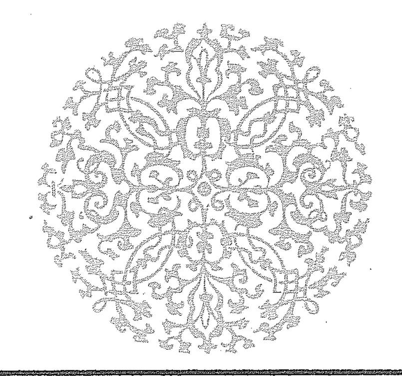
ب ـــ وأما دواعى وجود الانبياء وظهورهم من بين البشر فله وجوه كثيرة يكفى واحدها برهانا مؤيدا للدعوى ، فما بالك بها مجتمعة ، ولنسق ما يتسع له المقام منها :

فمن المعلوم ضرورة أن من الأمور والوقائع الكونية ما يمكن للعقل أن يستقل بادراكها دون الحاجة الى معين ، وذلك كادراكنا أن العالم لا بد له من صانع حكيم مدبر محيط بكل شىء علما حتى يجرى على هذا التناسق ، وبهذا التوازن والانسجام العجيب فى كل مظاهره والموجودات فيه ، فمن غير المسلم به عقليا أن يأتى هذا النظام عفوا وارتجالا وصدفة ، ودور الانبياء هنا تأكيد وتقرير للعملية العقلية المستنيرة ، وبهذا الدور تندفع أعذار المكلفين جملة وتفصيلا ، ولو أدعى البشر أن هذا القوى القادر الخالق الذى اهتدوا الى معرفته عقليا لم يبين لهم الشرائع ، وقد سلط عليهم الشهوات والهوى ، ولم يمدهم بمن اذا سهوا أرشدهم ، واذا مال بهم الهوى منعهم ، ولم يزل اعتراضهم قائما ، كما أنهم على فرض ادراكهم الحسن والقبح فهم عاجزون عن ادراك صفة الجزاء على وجهه الشرعى بالخلود فى الجنة للمحسن وفى النار للمسىء ، فتحديد نوع الجزاء خارج عن نطاق مدركاتهم ادراكا كاملا محددا متميزا .

ومن الأمور ما لا يستقل عقل بادراكها لبعدها عن الحواس المعتادة ظاهرة كانت أو باطنة ، ولا يعلم نفعها أو ضررها على وجه يحسن معه استعمالها ، والتجربة لا تفى بالمقصود منها ان دخلت فى نطاق الحس فكثيرا ما نجد من الاشياء ما يصلح دواء ، وغذاء وبلسما شافيا ،

وآخر هو سم ناقع ومصدر أدواء ، وادراك كنه الأشياء يحتاج الى توجيه صحيح وعلى سبيل المثال ، قد يرى البعض أن فى شرب الخمر نشوة ، وأن فى قتل فلان خلاصا من عدو ، وأن الفجور بحسناء أجنبية عنه غنم ، وأن استيلاءه على ما للغير فوز وأى فوز ، ويغفل فى الوقت نفسه عن الاخطار المستكنة وراء فعاله ، التى تشيع الفوضى الاجتماعية وتقضى على الطمأنينة وتعادى العدالة ، ولا يغرب عنا تفاوت الادراكات ، وأن الكامل نادر ، وأن الاسرار الالهية عزيزة جدا ، زد على ذلك حاجة الناس الى الصناعات النافعة ، كما أنه لا بد فى المعيشة من علم الاحكام والسياسة وتبادل المنافع والمصالح ، وقد وضع الرسل أسس كل تنظيم يضمن للبشرية هدوءها واستقرارها وتعاونها ، كما دلها على منافع المعادن وعلمها الصناعات ، والامثلة فى القرآن كثيرة قال تعالى : (فى حق داود عليه السلام : ((**وعلمناه صنعة لبوس لكم**)) وفى نوح عليه السلام (**واصنع الفلك**) وعن المعادن (**وانزلنا الحديد فيه باس شديد**) وفى قواعد العدالة (**أن الله يامر بالعدل والاحسان**) ...

وفوق هذا — ما كان للانسان أن يدرك تفاصيل الشرائع كما رسمها مدبرها ، فمن يستطيع أن يفصل الصلوات وأحكامها ومقاديرها ومواعيدها ، والصيام وحدوده ، والحج ومكانه وزمانه ، فاذا تأملنا ما سبقت الاشارة اليه ألفينا الحاجة الماسة الى وجود الرسل ، وعلمنا أنه لهذا أرسلهم الله كما تواتر ذلك فى مختلف الاعصار ، وهنا نقف عن الكتابة فلعل فيما مضى به القول بعض الغنية لمستفهم — على أن أعود — بعون الله — الى تناول الموضوع من جوانب أخرى والله المستعان ...



---

(١) الآية ٣٠ من سورة محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) ص ٢٢٨ من الجزء الثانى طبع مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٩ م .

(٣) يشير الى صلح الحديبية عام ست من الهجرة الكبرى .

(٤) ص ٩٤ من شرح العقيدة الاصفهانية — دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

(٥) ص ١٣٣ المنقذ من الضلال — طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

الجانب العمراني في الحضارة الإسلامية

للدكتور : محمود محمد قاسم
عميد كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

قد يميل بعض الباحثين فى الدراسات الاسلامية الى اصطناع اسلوب اللوم والنقد لمعاصريهم وربما كان هذا المنهج لا يخلو فى بعض الأحيان من رائحة تزكية النفس . أما اذا خلا منها فلربما شابته عاطفة المرارة .

وبعيد عن خاطرنا كل البعد أن ننتقص شيئا من صدق اخلاصهم او من حميتهم فى محاولة ايقاظ المسلمين المعاصرين ، لكن يبدو لنا أن هذا المنهج لم يعد منهجا مناسبا ، فلقد كان هو المنهج السائد فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالى ، عندما تم سقوط دول المسلمين جميعا تحت ضربات الغرب .

أما فى النصف الثانى من القرن العشرين ، ورغم الكوارث التى نزلت ببعض البلاد الاسلامية ، والتى نرى أنها لن تكون الا كوارث عابرة ، فان هذا المنهج التقليدى يوشك أن يدفع النفوس الى اليأس ، بدلا من أن يحفزها الى الرجاء والعمل ، كذلك لا نريد أن ننتقل الى المنهج المناقض تماما ، وهو منهج التفاؤل الساذج الذى يعد مفرطا فى بعث ما يمكن أن نسميه أملا مرضيا يسبح بالناس فى متاهات الخيال ويبعدهم عن الواقع ، فلنسلك اذن منهجا معتدلا يجانس بين الواقعية والمثالية ، فينأى بنا عن هذين المزلقين الخطرين اللذين يقود أحدهما الناس الى هوة اليأس ، فى حين ينتهى بهم الآخر الى عالم من الأوهام والأحلام .

فشبابنا اليوم فى حيرة من أمره ، وهو منقسم على نفسه بين متفائل

يرجو بعث القديم بما فيه من خير وشر ، ومتشائم يرى أن عجلة الزمن أسرع من أن تتيح لنا الوقوف ، ولو قليلا ، أمام ماض يقال : انه قد انقضى وغبر ، وأن الخير كله أن نتجه الى المستقبل ، أو بعبارة أدق نحو حضارة الغرب لكي نقتبسها دون تحوير أو تعديل ، كما اقتبسنا كثيرا من مظاهرها المادية من ملبس ومسكن وعادات اجتماعية وضروب الترويح عن النفس .

ومع ذلك ، فسوف نتجه الى هذين الفريقين على حد سواء ، فان أصحاب القديم وأنصاره ربما لم يعرفوا كثيرا عن قديمهم هذا ، في حين أن أصحاب الجديد ليسوا بأسعد حظا بمعرفة جديدهم ، اذ ربما جهلوا كثيرا من موارده وأصوله .

وأيا ما كان مقدار الصدق فيما نقرر فان حاضر العالم الاسلامي بمشكلاته التي نحياها جميعا ، منذ نهضة بلادنا في الزمن القريب ، حاضر يضطرب بميلاد جديد ، فنحن نرى ظهور علامات العمران الحديث في كثير من أقطارنا جنبا الى جنب مع بقاء مظاهر التخلف والبؤس في كثير من هذه الاقطار أيضا ، ونعني بها التي ما زال الاستعمار يستنزف ثرواتها ، دون أن يفيد أهلها من ثرائهم شيئا ، كما هي الحال في بعض بلاد المسلمين بأواسط أفريقيا أو في الشرق الاقصى حيث سعى المستعمر قبل انسحابه منها أن يمزق هذه الاقطار أو يبذر فيها بذور الانفصالية ، وأن ينشر المدارس التبشيرية تدعيما لتفتيت الروابط القومية فيها ، ومنعا لأي تقدم اسلامي في المناطق المجاورة لها .

وهذا الحاضر الاسلامي المضطرب الذي يوشك أن يلد الخير أو الشر ، سواء بسواء ، هو الذي يبعث هذا الصراع النفسي عند شبابنا ، ويشحذ ذلك الصدام بين عقليتين متنافرتين في مجتمعاتنا ، مما يدعو الى تمزقها وانفصام وحدتها وترددها في اختيار طريق سوى أقرب الى تحقيق تقدمها وضمان رخائها ، وهذا هو ، فيما نعتقد ، الهدف المشترك لهاتين العقليتين المتصارعتين ، وهو الذي كان ينبغي أن توحد له الجهود ، بدلا من تشتتها وتنافرها .

أما المتشائمون فهم الذين لا يرون سوى البؤس والشقاء .

وأما المتفائلون المفرطون في تفاؤلهم ، فهم الذين يؤمنون بأن مشكلات العالم الاسلامي سوف تحل دون جهد أو نصب .

وأما المعتدلون فهم الذين يرون مظاهر التقدم الحضاري في كثير من بلاد المسلمين ، لكن يرون أيضا مظاهر التخلف والبؤس والتدهور في بلاد اسلامية أخرى ، وهم يعلمون في الوقت نفسه أن مظاهر العمران الحديث جميلة حقا ، ولكنها ليست كل شيء ، وأن مظاهر التخلف تبعث اليأس القاتل ، غير أنها أمر يمكن القضاء عليه بكثير من العمل والصدق فيه .

وليس العمل والصدق فيه أمرا يستحيل غرسه في نفوس الشباب ، بل نرى أن الشباب هم أكثر الناس حاجة اليه وأشدهم طلبا له ، فان الشباب طموح بطبيعته ، وأما اليأس فانه أقرب الى قلوب الشيوخ والمعمرين ، ونرى أن نهضة الشرق بالعمل والصدق أمر قد تم فعلا بالنسبة الى الغرب عندما كانت المقارنة فيه بين حضارة المسلمين وحضارة الاوروبيين كفيلة بأن تبعث

اليأس فى قلوب كثيرين من أبنائه .

واليوم نقارن بين حضارتنا وحضارة أوروبا أو الغرب بأوسع مفاهيمه ، ونرى أننا ، رغم كثير من مظاهر العمران عندنا ، أكثر منه تخلفا ، وأننا لن نستطيع المحافظة على البقاء الا اذا لحقنا به قبل أن يجهز علينا ، وربما ساعدنا على اللحاق به فى المستوى الحضارى ، وعلى النجاة من المصير الرهيب الذى تحددت ملامحه بوضوح سافر فى آفاقنا العسكرية والسياسية والدينية والاجتماعية — نقول ربما ساعدنا على ذلك أن نعلم كيف لحق بنا هو يوم أن كانت حضارتنا مثله الأعلى ، وعندما كانت ثقافتنا تبهره وتدك معاقل الجهل فيه فى الوقت الذى كانت لا تحاول فيه التنكيل بالاعداء أو التفكير فى ابادتهم ، كما فعل النازحون من أوروبا الى أمريكا بثلاثين مليونا من الهنود الحمر ، لقد كان المسلم فى ذلك الحين مثلا أعلى ، وكان الاوروبيون اذا رأوا انسانا كاملا وصفوه بأنه عربى أو مسلم .

فاذا كان من عادتنا أن نقارن بين حاضر الغرب وحاضرنا ، وسواء سلكنا مسلك اللوم والتقريع أو مسلك الرغبة فى التحرر من تراثنا وماضينا معا ، أفليس من المشروع أيضا أن نرجع الى الماضى ولو قليلا ، حتى نعلم كيف أفاد الغرب من حضارة المسلمين ، وذلك دون أن يكون فى الرجوع قليلا الى الماضى صرفا عن ضرورة العمل المستمر لتحطيم حواجز الحاضر لربط الماضى بالمستقبل ، فليس فى دعوتنا هذه نوع من التعلل بالأمانى أو التنفيس عن عقد المجتمعات الاسلامية الراهنة عندما نبعث جمال بعض جوانب الماضى وروعتها ، بل فيها زاد وعون على محاولة تحقيق مستقبل أفضل من الحاضر والماضى معا .

واذا نحن قصرنا حديثنا هنا على الناحية العمرانية فى بلاد المسلمين ، فلربما كان هناك من المعاصرين من يظن أن تقدمنا فى هذه الناحية خلال عشرات السنين الأخيرة شيء دخيل على حضارتنا ، وأن أمتنا لم تعرف فى ماضيها مثل هذا العمران ، وانها مدينة به لأوروبا التى لم تعمل منذ عصر الاستعمار الا من أجل تحطيم حضارتنا بجميع مظاهرها ، ان العنصر الحضارى الكامن فى ضمير هذه الأمة هو الذى حفزها ، فى العصر الحديث ، الى التجديد العمرانى فى ظروف سياسية واجتماعية غاية فى القسوة .

والحق أن بلادنا هى التى أوحت فيما مضى الى أوروبا بتجديد مظاهر العمران فيها ، وكان اتصال الغرب بالعمران الاسلامى ، عبر الأندلس وصقلية وشمال افريقية والشام ، هو الذى كشف له عن مقدار الهاوية التى انحدر اليها منذ سقوط الدولة الرومانية القديمة ، وكانت دولة حضارية ممتازة ، ومنذ سيطرت الكنيسة على مصائر شعوب أوروبا حتى عصر النهضة وعهد التحرر العقلى والفكرى فى أوروبا ، بفضل ظهور كل من حركة احياء العلوم وحركة الاصلاح الدينى ، وكلاهما نتيجة مباشرة للاتصال بالحضارة الاسلامية ، وكلاهما كان ثورة على الكنيسة الكاثوليكية التى ورثت امبراطورية روما ، فطمست معالم عمرانها وبددت حضارتها ، بل قضت عليها قضاء مبرما ، فأصبحت روائع آثارها لا ترى الا فى متاحفها الدينية .

لقد شهد الاوروبيون نماذج من العمران الاسلامى فى بلاد الأندلس كما شهدها من رحل منهم الى المشرق

أيام الحروب الصليبية ، فعلموا أن أعداءهم أجدر أن يكونوا أساتذة لهم فى كل شيء ، ولم تكن مدن الأندلس الا لتثير اعجابهم وتحفزهم الى محاولة محاكاتها ، فقد رأوا فى أثناء تتلمذهم على أساتذة المسلمين في جامعات الأندلس كيف كانت قرطبة والزهراء وغرناطة وأشبيلية وطليطلة ومرسية وغيرها من المدن .

أما قرطبة التى عنى عبد الرحمن الناصر بتجميلها وتزيينها ، فقد أصبحت تضاهي بغداد بهاء وجمالا . وبغداد هي عاصمة الخلافة ، فهى أشهر من أن نعرض لوصف العمران فيها ، اذ كانت عاصمة الدنيا أيضا فى عصر العباسيين ، لأن الدولة الاسلامية هى التى كانت تسيطر تقريبا على العالم المعروف فى ذلك العهد .

ومما قد يعطينا فكرة عن اتساع عمران بغداد أن نقول انه كان يوجد بها ، فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، سبعة وعشرون الف مسجد ، وكان لقرطبة جوها الحضاري الذى عرفته بغداد فى أيام هارون الرشيد ، لكنه كان فى قرطبة جوا خالصا من حضارة البادية ، اذ كانت حضارة الأندلس عربية وغربية فى آن واحد ، كما أراد لها عبد الرحمن الناصر أن تكون ، انها كانت حضارة تقبل كل شيء من غرب وشرق ، وتحوله الى شيء آخر فريد فى نوعه أو نسيج وحده .

ثم جاء عبد الرحمن بن محمد فبنى غرب قرطبة مدينة سماها الزهراء ، فأحكم تخطيطها ، وحدد أماكن الأسواق والحمامات والقصور فيها ، ثم أراد لها أن تنمو سريعا ، فأغرى الناس بالبناء فيها لقاء جائزة مالية لكل من بنى لنفسه فيها مسكنا بجوار السلطان ، وقد صدق حدسه ، اذ اتصل عمران قرطبة بمدينة الزهراء ، فكان السائرون خلال المدينتين يقطعون مسيرة عشرة أميال فى ضوء المصابيح التى تنير الطرق الواسعة التى لم تعرفها أوروبا الا فى عصور متأخرة ، ومما كان يزيد قرطبة والزهراء جمالا أن واديهما كانت تحيط به المروج والبساتين ، وتدور فيه أكثر من خمسة آلاف من طواحين المياه .

وكانت غرناطة على مقربة من مدينة البيرة ، وكان يحفها سور من البساتين العريضة ، وكانت تستند الى جبل الثلج التى تكسو سفوحه الكروم ، بينما يمتلىء واديها بضيعات الكبراء ، والجنان التى يعجز الوصف عن بيان مفاتنها ، فكانت دمشق بلاد الأندلس فى جمالها وحصونها ذات الأسوار الشامخة والمبانى الرفيعة ، وأسواقها وحماماتها الأنيقة . أما جوف الوادى فكانت ضياعه تلوح مبانيها خلال أشجار الثمار وأشجار الزيتون واللوز والكمثرى ، وكان أهل غرناطة يتخذون الوادي وضياعه مسارح للندوة وقرض الشعر ، أما المنخفضات حول غرناطة فكانت مليئة بالدوح والبيوت والأبراج التى بلغ عددها فى ذلك العهد أربعة عشر ألفا ، والى جانب الجبل كانت هناك ضاحية تسمى « دمع العين » وكانت فى أيام المسلمين متنزها بديعا به القصور والدور العالية ، وكانت القرى التابعة لغرناطة تحوى ، كما يقول ابن الخطيب جملا ضخمة من الرجال وفحول الحيوان ، وفى كثير منها المساجد والطواحين .

أما أشبيلية ، مدينة الطرب والغناء ، والعلم والتصوف أيضا ،

فكانت تمتاز بحسن مبانيها وعناية أهلها بتزيين دورهم من الخارج والداخل ، وذلك بسبب تأصل الحضارة فيها الى حد أن العامة كانت تعبر عن ترف الحضارة فى هذه المدينة بقولها : « لو طلب لبن الطير فى أشبيلية لوجد » . وكان النهر العظيم يمر بها ، وعلى ضفافه المتنزهات والبساتين والكروم التى تتصل دون انقطاع ، وكان أهلها يميلون الى اللهو والغناء ، وكان فيهم الى جانب ذلك عربدة وشراب ، وكانوا يتذوقون المزاح الذى كانوا يرصعونه أحيانا بألفاظ السباب ، وهذا ما نراه عادة فى المجتمعات التى يبلغ فيها التحضر حدا مفرطا .

وقد تخصصت أشبيلية فى صناعة آلات الموسيقى ، التى استوحاها الاوروبيون فى ابتكار أدواتهم الموسيقية فيما بعد ، كذلك بلغت مبانيها من الاتقان غايته بحيث أن أكثر دورها كانت لا تخلو من الماء الجارى ومن الأشجار المتكاثفة ، كأشجار الليمون والنارنج ، غير أن كلا من مرح المدينة وطربها لم يكن حائلا دون وجود طبقة ممتازة من العلماء فيها ، اذ كانت بها مدرسة جمعت أعلام العلماء من المسلمين والنصارى واليهود ، هذا إلا أن المدينة لما سقطت فى يد الاسبان ظلت ، لفترة من الزمن ، مركزا علميا ، ذلك أن الفونس العالم استعان بكثير من علماء المسلمين للتدريس فى مدرسة أنشأها للطب والعلوم ، وكانت المواد تدرس فيها باللغتين اللاتينية والعربية .

ولا نريد أن نكثر من وصف مدن الأندلس ، فلنكتف بأوصاف عابرة لكل من طليطلة ومرسية ومالقة .

أما طليطلة فكانت من أكثر المدن سكانا تحيط بها أسوارها المنيعة ، وفى داخلها الحصن الكبير ، وكان بها قنطرة عجيبة من قوس واحدة يدخل تحتها الماء بعنف ، وفى آخر القنطرة كانت هناك ناعورة يقول عنها الادريسى : انها كانت ترتفع فى الجو تسعين ذراعا ، فترفع الماء الى القنطرة ، فيجرى على ظهرها ، حتى يدخل الى المدينة .

وأما مرسية فقد اختصت بتجهيز العرائس ، فى حين اشتهرت مالقة بجودة أنبذتها .

فاذا نحن انتقلنا الى المشرق وجدنا الفسطاط فى مصر ، وقد قيل ان بعض الدور فيها كان يرتفع الى ثمانية طوابق كأنها المنائر ، وربما سكن الدار الواحدة منها أكثر من مائتى نفس ، وكان الطابق الأول منها لا يسكن عادة ، بل يخصص لأعمال اخرى كالحوانيت وغيرها ، أفليس ذلك قريب الشبه بما نجده اليوم فى كثير من أحياء القاهرة والجزائر والكويت ودمشق وبغداد وغيرها من عواصم البلاد الاسلامية وكبريات مدنها . ويقول ناصر خسرو فى وصفه لمصر : « ونرى مصر من بعيد كأنها جبل ، وبها بيوت من أربع عشرة طبقة ، وبيوت من سبع طبقات ولها أسواق وشوارع توقد فيها القناديل ، لأن ضوء الشمس لا يصل الى أرضها . وربما كان ذلك يرجع فى الحقيقة الى ضيق شوارعها ، كما نجده فى أيامنا هذه فى بعض احياء القاهرة .

أما القاهرة ، مدينة المعز ، فكانت ، فى أول نشأتها ، مدينة حدائق كمدينة فرساى مثلا فى فرنسا أو المعادى من ضواحى القاهرة المعاصرة وكانت الدور فيها منفصلة

بعضها عن بعض بالأشجار الكثيفة ، وكانت المياه ترد اليها عن طريق قنوات مغطاة تتفرع الى الدور لتمدها بالماء ، وقد عرف هذا النظام أيضا في كثير من بلاد المسلمين الاخرى . وكانت مجارى المياه هذه على أعماق متفاوتة ، وقد يضطر المرء أحيانا ، الى أن يهبط مائة درجة حتى يصل اليها ، وكان هناك من يقوم على حراستها وحفظها وصيانتها .

ولا يتسع الحديث هنا لوصف مستشفيات البلاد الاسلامية ، لكن يكفى ، بصفة عابرة ، أن نقول انها كانت مفتوحة للجميع ، دون تفرقة دينية أو عنصرية .

فاذا نحن أردنا ، بعد ذلك ، أن نكمل الصورة التى رسمناها للجانب العمرانى فى الحضارة الاسلامية ، فقد يجوز لنا أن نقارن بين مدن الاسلام وبين مدن أوروبا فى تلك الحقبة من الزمن نفسها ، أو فى الحقبة التى تلتها ، فلقد رأينا كيف كانت قرطبة والزهراء وغرناطة وأشبيلية وطليطلة ومرسية وبغداد ودمشق والفسطاط والقاهرة ، وغيرها من بلاد المسلمين ، بقصورها وأبراجها وبساتينها وحماماتها وأسواقها ومستشفياتها ، فلنر الآن كيف كانت باريس وغيرها من عواصم أوروبا فى تلك الفترة الزمنية نفسها .

لقد ظلت باريس ، فى خلال العصور الوسطى وحتى بدء القرن الثانى عشر ، مدينة يرثى لها ، ففى ذلك القرن أخذ الفرنسيون يرصفون شوارع عاصمتهم ، ومن قبل كانت هذه الشوارع مليئة بالأقذار والمستنقعات كبعض مدن أقاليمنا العربية فى الوقت الحاضر ، غير أنه لما تم رصف شوارع باريس بدأت تخف فيها حدة أوبئة الحمى والدوسنتاريا ، وأخذت الحالة الصحية بين سكانها تقترب مما كانت عليه فى مدن المسلمين وقراهم بالأندلس ، وساعد على ذلك أن حكومة فرنسا منعت خنازير أحد الأديرة ، وهو دير القديس انطوان من أن تعيث فسادا وقذارة فى طرقات المدينة ، كذلك حرمت الحكومة فى باريس القاء المياه القذرة من النوافذ .

ولسنا فى حاجة الى أن نظل فى نطاق القرن الثانى عشر ، بل نستطيع أن نقفز عدة قرون لنجد أن أحد الكتاب الاوروبيين ممن شاهدوا روما فى سنة ١٨٧٠ م يقول : « أن المرء كان لا يستطيع السير فى طرقات المدينة الا وعيناه مصوبتان دائما نحو الارض ، حتى لا يخوض فى القاذورات التى تتقزز منها النفوس » .

أما فى برلين ، فى تلك الحقبة نفسها ، فكانت الشوارع تكاد الا تكنس أبدا ، وكان رجال الشرطة يلزمون كل فلاح يدخل الى تلك المدينة بعربته المحملة بالخضر أو الدواجن أن يخرج بعربته هذه من المدينة ، وقد حملها من أدران برلين وأوساخها قدر ما يستطيع ان يجره حصانه .

ويلاحظ أنه لما تم رصف شوارع باريس فى القرن الثانى عشر الزمت الحكومة سكان المدينة أن يعلقوا المصابيح فى نوافذ البيوت المطلة على الشوارع لإضاءتها ليلا ، واخيرا فكرت هذه الحكومة فى محاولة استخدام نظام الإضاءة الذى كان مطبقا بنجاح فى كل من قرطبة وغرناطة .

واذا نحن تركنا عواصم أوربا فى خلال العصور الوسطى ، وفى فجر عصر النهضة أو حتى فى العصر الحديث ، لكى نتجه الى قلب القارة رأينا هذه القارة تكاد تكون مغطاة بالغابات فى جملتها ، تتخللها ، على مسافات شاسعة ، بعض المدن وأديرة الرهبان ، أما فى الأراضى المنخفضة ، وعلى طول ضفاف الأنهار ، فان المستنقعات كانت تفوح برائحة العطن ، وتنشر الموت هنا وهناك ، كما كانت أوبئة الطاعون البلاء المستمر لأهل أوربا .

وكانت منازل الأوربيين خلال العصور الوسطى ، حتى فى لندن وباريس ، من الخشب والطين ، وكانت مغطاة بالقش أو أعواد الغاب ومن الطبيعى أن سكان هذه العواصم كانوا لا يعرفون شيئا عن السجاد الفاخر ، وغير الفاخر ، الذى كان يملأ بيوت المسلمين ويغطى جدرانها بل كانوا يستعيضون عنه بالقش على الأرض ، ولما كانت المدافىء غير معروفة فى ذلك الحين فان الدخان كان يتصاعد من فتحات فى سقوف المنازل . ولم يكن هناك أى نظام للتخلص من الفضلات والأوساخ ، فكان القوم يلقون بامعاء الحيوان والخضروات التالفة فى عرض الطريق ، وكان الرجال والنساء والاطفال ينامون فى نفس الغرفة ، وكثيرا ما كانوا يفسحون فيها مكانا لماشيتهم ، على نحو ما يفعل بعض البؤساء من فلاحى البلاد المتخلفة فى عصرنا الراهن ، وكان السرير يتكون من كيس محشو بالقش ومن وسادة محشوة بالصوف ، وكانت نظافة الاجسام أمرا غير معروف ، ولذا فان أجساد الناس ، بما فيهم كبار موظفى الدولة والأساقفة ، كانت مرتعا للحشرات الطفيلية ، كما يقول « درايبر » صاحب كتاب « الصراع بين الدين والعلم » الذى اعتمدنا عليه فى اقتباس هذه المعلومات عن العصور الوسطى الأوروبية ، وأيا كان الأمر فان الطبقة الارستقراطية من حكام ورجال كهنوت كانت تستعين بالعطور لإخفاء نتن الأجسام أما رجال الطبقة الوسطى فكانوا يرتدون ملابس من الجلد ، وكانوا يعدون من المنعمين المترفين اذا أكلوا اللحم مرة واحدة فى الأسبوع .

وقد ترك لنا البابا « بيوس » الثانى وصفا طريفا لانجلترا فى القرن الخامس عشر ، أى فى سنة ١٤٣٠م فقال : « ان بيوت الفلاحين كانت تبنى من الأحجار دون ملاط ، وكانت سقوفها تصنع من الحشائش الجافة أما باب البيت فكان يتخذ عادة من جلد أحد الثيران ، أما الغذاء فكان يتألف من بعض الخضروات أو من لحاء بعض الأشجار أحيانا اذا شحت الخضر ، وفى بعض المناطق كان الناس لا يعلمون ما الخبز ، وكثيرا ما كان الفلاح يستعيض عن الملابس بحزم من القش يربطها حول جسمه وأعضائه ، ولذا كان فريسة طيعة لشتى الأمراض ، وما كان ليأمل فى الشفاء الا عن طريق معجزة لأحد القديسين ، أو عن طريق التبرك بآثارهم أو مخلفاتهم .

فهل من العجيب — كما يقول لنا « درايبر » أيضا — أن نعلم أن الناس أكلوا لحوم البشر فى مجاعة فى سنة ١٠٣٠م بلندن ، وأن خمسة عشر ألفا من أهل هذه المدينة هلكوا جوعا فى سنة ١٢٥٨ م ، ولم تكن الأحوال الصحية فى بقية أوربا بأفضل منها فى انجلترا ، فقد هلك ثلث سكان فرنسا بوباء الطاعون فى القرن الرابع عشر ، ومن الإنصاف

أن نقول : ان مثل هذه المجاعات والأوبئة كانت تحدث ، بين حين وآخر ، فى بلاد المسلمين ، وقد حدث فى بعض المجاعات فى بغداد فى عصور التدهور أن الناس كانوا يبيعون الدار لقاء رغيف من الخبز ، كما يروى لنا ابن الأثير فى كتابه « الكامل » . كذلك نعلم أن الطاعون أهلك خلقا كثيرا فى القرن الرابع عشر ، على نحو ما يذكر لنا ابن خلدون ، لكن يجب أن نعترف الى جانب ذلك ، أن الحالة العمرانية فى الشرق وفى الأندلس وفى شمال أفريقيا ما كانت لتشوه جمالها وروعتها مثل هذه الكوارث الطارئة.

ومن الإنصاف أيضا أن نقول : إن هذا التخلف المريع لأوربا فى العصر الوسيط لم يحل قط دون تقدمها أو خروجها من عصور الظلام ، فقد استطاع الأوربيون بسبب احتكاكهم بالمسلمين ، حربا وسلما ، أن يضعوا أسسا راسخة لحضارتهم التى تسيطر على عالمنا الحاضر ، فبنت المدن الجميلة ، وساعد على تحسينها وزيادة ثرائها ، ابتداء من القرن الخامس عشر ، ما نهبه الأوربيون من بلاد المسلمين ومن الشرق بصفة خاصة ، ولا سيما بعد أن قضوا على الأسطول العربى فى الخليج الهندى ، وبعد أن كشفوا طريق الرجاء الصالح ، واذا كان الأوربيون النازحون الى الأمريكتين استطاعوا أن يفنوا ملايين البشر ليحلوا مكانهم وان احتفظوا بنماذج منهم فى مناطق مغلقة ، فانهم لم ينجحوا بعد ، وأعتقد أنهم لن ينجحوا ، فى إبادة المسلمين ، اللهم الا اذا أتاح المسلمون رقابهم للسيف طوعا واختيارا ، ونحن لا نعتقد أن هذا أمر سيحدث . فان المبادىء الإسلامية قد تخبو فى النفوس لفترات ، ولكن جذوتها لا تنطفىء أبدا .

ومما يساعدنا على تقرير هذا الأمر أن حالة المسلمين فى عصرنا الراهن لا تشبه حالة الأوربيين فى العصور الوسطى ، واذا كان الأوربيون قد اقتبسوا كثيرا من حضارة العرب وصبغوها بصبغتهم ، فما الذى يحول دون أن يقتبس العرب مظاهر العمران من الغرب ، وأن يخلعوا روحهم عليها ، ذلك أنه لا يكفى أن تحاكى أمة حضارة أمة أخرى ، وأن تقنع بالمظاهر الخارجية لها ، ذلك أن المظاهر الخارجية لا تكفى ، بل لا بد لها من أصول داخلية تعتمد عليها ، فهى ليست فى الحقيقة إلا ثوبا يلحقه ما يلحق بقية الثياب من التقادم والتلف أو التمزق وأهم من ذلك أن يكون النبع من الداخل ، بمعنى أن يبعث العرب ، والمسلمون بصفة عامة ، ما انطوت عليه أعماق نفوسهم من أصول حضارية أتاحت لهم حتى الآن أن يحتفظوا بالحياة ولو مشوبة بالمهانة وأن يقفوا أمام محاولات الإبادة .

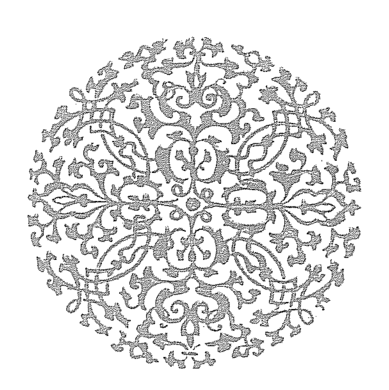
حقا ان الحياة العربية الراهنة لا توحى بكثير من الآمال قريبة التحقق ، لكنها حياة لا تبعث على القنوط ، وهى أشد ما تكون حاجة الى مناهج جديدة وعواطف جديدة وعقلية جديدة أيضا ، ومما يبشر بالخير أن هذه الامة لم تعد تقنع بضروب الوعظ ، أو تستطيب صنوف التقريع التى تميت القلوب لانها تفرط فى اللوم ، وتكاد أن توصد باب الأمل ، كذلك لم يعد هناك كثيرون يخدعون بالامانى والأحلام ، اذ يحدسون حدسا صادقا أن هناك

شيئا آخر اجدى بكثير من التحسر على الماضى أو الحياة فى جو من الخداع والوهم ، وسيقوى هذا الحدس عن طريق العمل والصدق فيه ، وبالعزوف عن الوان من الثقافة أصبحت لا تطاق ، لأنها لا تعدو أن تكون اجترارا لآراء غدت خلوا من كل روح .

ولسنا من هؤلاء الذين يفرضون آرائهم على الناس عن طريق التقريع أو اللوم أو بأية وسيلة أخرى ، بل انا نحسن الظن بالبشر ، ونعتقد أن اليأس عند شبابنا لم يصل بعد الى درجة كبيرة من الخطورة بدليل شدة إقبالهم على الحياة وتمسكهم بها والرغبة فى نعيمها ، لقد قسا أحد كبار الكتاب عندنا منذ سنين على جمهور القراء ، لكنهم لم يحملوا قسوته محمل الجد ، لقد وصفهم بالغباء والتفاهة لأنهم لا يقدرون الثقافة الرفيعة أو لأنهم لا يقرأون .

ولئن صح ما قاله من أنهم لا يقرأون ، فربما كان من الأفضل أن يتساءل ، ولماذا لا يقرأون ، اذ من المحتمل أنهم لا يجدون شيئا يستحق القراءة ، أو أن متاعب الحياة قد تصدهم ، حتى عن متعة قراءة الأدب الرفيع ، ومثل هذا الكاتب هؤلاء الذين يصفون العرب والمسلمين بالكسل وبالرغبة عن الأمل فى حياة أفضل ، ولربما كان من الأولى أن يدرك هؤلاء أن الناس اذا فقدوا حماستهم للعمل فلربما كان ذلك بسبب سوء الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، التى قد تقف أمامهم حواجز صماء تحول دونهم ودون العمل الذى يؤدى الى حصيلة تليق بالآدميين ، وهذا أمر هو البداهة نفسها . فانا نرى أن مستوى الحياة لدى المسلمين يتفاوت من بلد الى آخر حسب الأوضاع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

وفى اعتقادنا أنه ليس هناك ما يبرر الإفراط فى التشاؤم ولا فى التفاؤل ، اذ ما زال اليأس الذى يعانيه شبابنا يحتوى على جرثومة من الأمل ، وانا لنرجو أن تكون الأوضاع السيئة فى عالمنا العربى حافزا لهذا الشباب الى تطعيم هذا الواقع ببعض القيم والمثل . فانهم هم أقدر الناس على تجاوز الكوارث المؤقتة ، وعلى تحويل مظاهر الفشل الى عناصر حية تبعث موجة من الأمل المعتدل ، وعلى الافادة من دروس الحاضر لبناء مستقبل أقل هوانا وشعورا بالضياع والتمزق من حالتهم الراهنة .

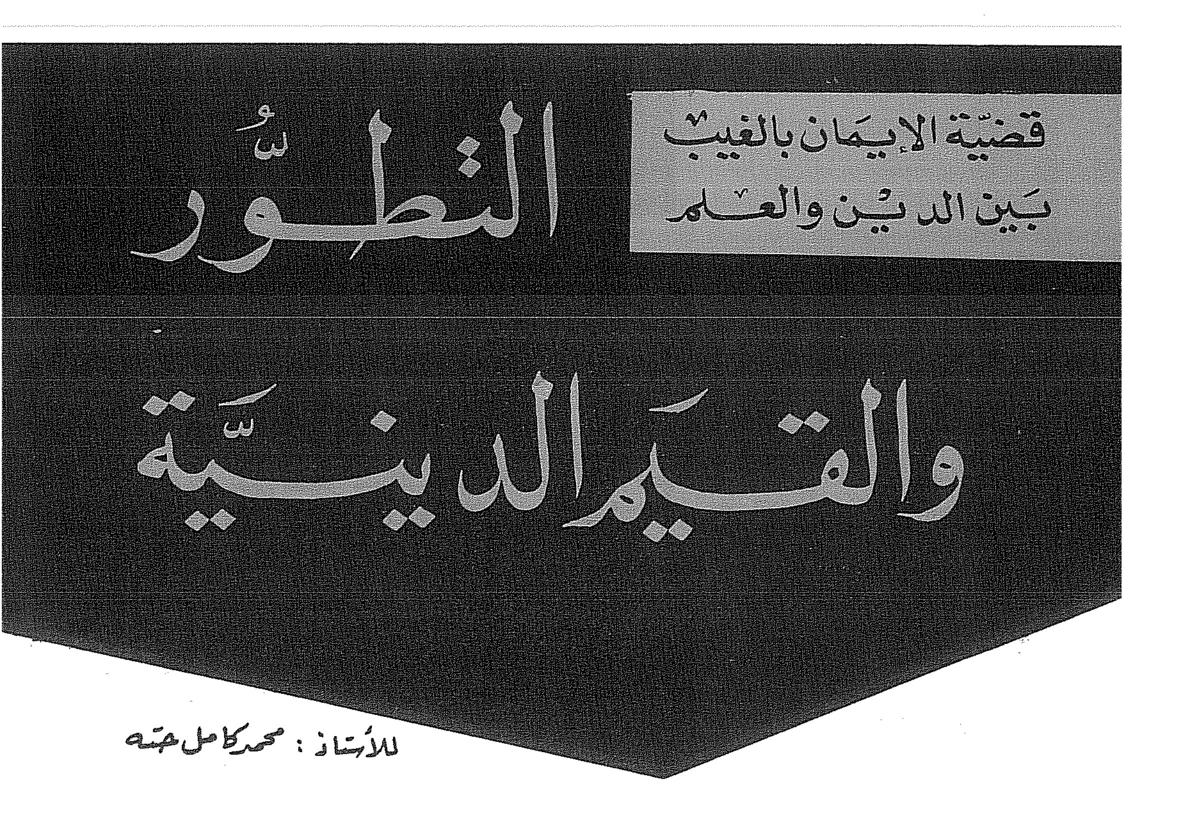


عبد الله بن عتيك

أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من المدينة ، فنزل فريق منهم بخيبر ، وكان على رأسه ((أبو رافع سلام بن أبى الحقيق)) وكان ذا ثروة طائلة ، رصدها للفتن والمؤامرات وافساد الأمن ، فكلف رسول الله خمسة من أبطال المؤمنين ، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وخرجوا الى خيبر تدفعهم قوة الايمان الى التضحية بالنفس فى سبيل الله ..

وفى مكمن قريب من حصن أبى رافع ، المليء بالعدد والسلاح ، المحاط بأسوار من الحديد والنار جلس الخمسة يتشاورون فى الأمر . كيف ينفذون الى أبى رافع ، وماذا يصنعون أمام مناعة الحصن وكثرة الحراس ، وتناوبهم فى الحراسة طول الليل ؟ وبينما هم يتشاورون ، ويرسمون الطريق لتنفيذ الواجب الذى أمرهم به رسول الله ، وعاهدوا الله عليه بدت لابن عتيك فكرة ، فصاح فيهم دعكم من ذلك كله ، ولتكن فى حراسته جميع شياطين الارض ، فانا قاتلوه ان شاء الله .. لقد آمنا بالله ورسوله ، وآمنا بأن أبا رافع عدو الله ورسوله ، وقد اشترى الله منا النفوس والأموال بأن لنا الجنة ، فاجلسوا مكانكم ، وخذوا حذركم ، وانطلق عبد الله الى الحصن مجردا من كل شيء الا سيفه وايمانه ، واستطاع أن ينفذ الى داخل الحصن رغم الأسوار والحراس ، واختفى فى مكان قرب الباب ، وظل فيه حتى نام الحراس ، وهدأت الأنفاس ، فنهض من مكانه ، وأخذ المفاتيح من جانب البواب ، وأخذ يفتح الأبواب بابا بابا ، وكلما فتح بابا أغلقه من الداخل حتى انتهى الى عدو الله ورسوله ، وخاف أن يكون مع أبى رافع أحد ، فنادى : يا أبا رافع ، وعلى صوت الاجابة أهوى بسيفه ، فلم يصبه ، فعرفت امرأة أبى رافع صاحب الصوت ، فقالت لزوجها بصوت مضطرب هذا صوت ابن عتيك ، فقال لها أبو رافع : ثكلتك أمك ، وأين منا الآن ابن عتيك ؟ فعاد عبد الله للنداء مرة ثانية مغيرا صوته مقلدا أحد الحراس ، وقال : ما هذا الصوت الذى نسمعه يا أبا رافع فصاح به : لأمك الويل ، أين أنت ورجل فى الحصن يضربنى بالسيف ، وعلى الصوت ضرب عبد الله فأصاب عدو الله ، وضرب الثالثة فقضى عليه ، وخرج عبد الله الى الباب الخارجى ، وبينما هو يقفز الدرج اذ انزلقت رجله فانكسرت ، فعصبها بعمامة حتى وصل الى أصحابه ، فزف اليهم البشرى ، وحملوه الى رسول الله وأخبروه ، فأشرق وجهه وقال لعبد الله أبسط رجلك ، فمسحها عليه السلام بيده الكريمة :

فقال عبد الله فكأنها والله لم تصب طول حياتى بسوء ولهى والله أقوى رجلى .



المجتمعات الانسانية فى تطور دائم ، وتحول مستمر . فهى لا تثبت على صورة واحدة ، ولا تجمد على وضع معين ، ولكنها تتطور من حال الى حال ، وتأخذ أشكالا مختلفة فى أساليب الحياة ووسائل المعيشة وطرائق التفكير .

فما هو موقف الحقائق والقيم الدينية من هذا التطور ؟

وهل تستطيع هذه القيم أن تجارى طبيعة الحياة فى تطورها ، وأن تلبى حاجات المجتمع المتغيرة من حال الى حال ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ، لا بد من وقفة عند معنى التطور والثبات .

ان الوجود بما فيه من مختلف الكائنات ، تحكمه قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . فهذه الافلاك فى حركتها الدائبة ، وهذه الكائنات الحية من انسان وحيوان ونبات .. تقوم على نظام ثابت وقواعد محكمة ، ولكل منها قانونه الذى يخضع له ويسير عليه .

بلايين الكواكب والنجوم التى تسبح فى الكون ، لكل منها مدارها الذى لا تحيد عنه ، ومجالها المغناطيسى الذى لا تتجاوزه .

الانسان الذى يبدأ تكوينه من خلية واحدة ، فاذا هذه الخلية تتحول الى جسم متعدد العناصر من لحم وعظم وغضاريف ودماء ، متعدد الاجهزة من قلب ورئة ومعدة وعين وأذن وأعصاب ، متنوع المشاعر من شجاعة وخوف ، من كرم وبخل ، من حب وكراهية .. الى غير ذلك من الاضداد ..

عالم النحل بما فيه من تخصص عجيب فى العمل ، حيث تقوم كل نحلة

ثبات القيم الدينية لا يعتبر جموداً يعوق حركة الانسان

التطور العلمي في الوصول الى القمر لم يقنض الخروج على قوانين الطبيعة

تطور الانسان في حياته لا يستدعي الخروج على القيم الدينية

بعمل معين ، وبما فيه من هندسة عجيبة فى بناء البيوت التى تتكون من عدة غرف مسدسة الاضلاع !!

النبات الذى تلقى بذوره فى أرض واحدة ، ويسقى بماء واحد ، ثم يخرج بعد ذلك مختلف الانواع والالوان والرائحة والطعم ..

هذه الكائنات جميعها تحكمها قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل . ومنها الانسان الذى تحكمه قوانين ثابتة فى تكوينه وخلقه ، كما يرتبط بقوانين أخرى فى حياته هى القيم الدينية التى لا تتغير ولا تتبدل ، لأنها تتصل بفطرة الانسان ومعنى وجوده فى هذه الحياة .

ومن هنا كان معنى الثبات فى القوانين الكونية بالنسبة للكائنات ، وفى القيم الدينية بالنسبة للانسان .

واذا كان ثبات القوانين الكونية لا يعتبر جمودا يعوق حركة الكائنات فى الكون ، ولكنه ضرورة تنظم وجود هذه الكائنات ومسيرتها ـ فكذلك ثبات القيم الدينية لا يعتبر جمودا يعوق حركة الانسان فى الحياة ، ولكنه ضرورة تنظم حياة الفرد والمجتمع .

ولننظر فى هذه القيم الدينية وكيف أنها ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، مهما تطورت حياة الانسان واختلفت أساليب تفكيره ومعيشته ..

ان الدين فى جوهره تنظيم للصلة بين الانسان وربه خالق الكون والحياة ، وتنظيم للصلة بين الانسان والمجتمع الذى يعيش فيه . وذلك على أسس مترابطة لا ينفصل أحدهما عن الآخر . فهو حين يقوم على الايمان بالله واحد متفرد بكمال الصفات ، انما يجرد البشر فى الوقت نفسه من دعوى الالوهية والاستعلاء والسيطرة ، ويبطل مزاعم الذين يرون لأنفسهم حقوقا مقدسة أو غير مقدسة على غيرهم من الناس ، ويضع الجميع على مستوى واحد فى الحقوق والواجبات، ثم لا يبقى لأحدهم فضل على الآخر الا بما يقدم من عمل صالح يفيد الفرد أو المجتمع .

والدين حين يقرر مبدأ الجزاء ويعد بالثواب والعقاب ، يقرر كذلك أن الله ــ تبارك وتعالى ــ لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه . وانما هى حوافز وزواجر تتصل بالفطرة الانسانية لتبلغ بالفرد والمجتمع الغاية من وجوده فى هذه الحياة .

والدين حين يقرر حتمية البعث والنشور ، انما يقضى على فكرة « العدم » التى تغرق الانسان فى الشعور بالضياع والتفاهة ، وتقتل فيه معنى وجوده ، وتدفعه الى اليأس والكآبة التى تحطم حياته ، أو الاستغراق المجنون فى الفردية وانتهاب الملذات . وبذلك يعطى الدين للحياة قيمتها ، ويرسم للانسان رسالته فى هذه الحياة ، ويربطه بأهداف سامية تبعث فى نفسه معنى الخلود .

وعقيدة الايمان بالله ، لا تستطيع الانسانية أن تستغنى عنها فى أى عصر من العصور ، ولا فى أى مجتمع من المجتمعات ، لأن هذه العقيدة مرتبطة بالفطرة الانسانية . وما يحدث لهذه العقيدة من قوة أو ضعف ، من استقامة أو انحراف ، انما ينشأ نتيجة التوافق مع الفطرة الانسانية أو التناقض معها فى الفكر والاتجاه .

فالفطرة الانسانية تؤمن بوجود اله مبدع لهذا الكون ، له الاسماء الحسنى ، وحده لا شريك له ، ولا معبود بحق سواه . فاذا انحرف الانسان عن فطرته ، لا يستطيع حتى مع انحرافه أن يتخلى عن فكرة الاله المعبود ، ولكنه يخطىء فى تصور هذا الاله والتعبد له . ولهذا الانحراف عن الفطرة الانسانية وما يؤدى اليه من خطأ التصور والعبادة صور كثيرة :

فمن الناس من يعبد الاصنام ، أو يقدس بعض الحيوان !

ومنهم من يعبد البشر من الملوك والزعماء ، أو من الاحبار والرهبان والصالحين :

ــ « اتخذوا أحبارهم (١) ورهبانهم أربابا من دون الله » (٢) .

ومن هؤلاء « الاحبار » من تعتبر آراؤهم ونظرياتهم عند أتباعهم فى بعض المجتمعات المعاصرة « دينا » له قداسة الدين المنزل من السماء ..

وقال آخرون فى مقام التبرير والاعتذار : ــ « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٣) .

ومن الناس من يعبد آلهة أخرى .. المال ، الشهوات ، الاهواء : ــ « أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة .. » (٤)

ان الانسان حين ينحرف عن فطرته ، لا يستطيع أن يعيش فى فراغ عقائدى ، فهو يشغل هذا الفراغ ويلبى نداء الفطرة بتصور الاله على صورة ما .. سواء كان على خطأ فى هذا التصور أم على صواب !!

وكذلك القيم الدينية التى تنظم حياة الفرد والجماعة ، لها صفة الثبات والدوام والاستقرار ، لأنها تتصل بالفطرة الانسانية التى لا تتغير ولا تتبدل . « فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٥) .

---

(١) علماءهم .

(٢) الآية ٣١ سورة التوبة .

(٣) الآية ٣ سورة الزمر .

(٤) الآية ٢٣ سورة الجاثية

(٥) الآية ٣٠ سورة الروم .

ان رعاية حقوق الوالدين مثلا ، من القيم الدينية التى لا تتبدل ولا تتغير ، مهما تطورت حياة الانسان واختلفت صور المجتمع : ـــ « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (١) .

وكذلك المساواة بين البشر دون النظر الى الجنس أو اللون أو الغنى أو الفقر : ـــ « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢) .

... وتقويم كل امرىء بما يحسنه ، لا بما يدعيه من حسب ونسب وثروة وجاه . واقامة العدل ، والاحسان فى القول والعمل ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ـــ هذه المبادىء العامة وغيرها مما يشكل الصورة الكلية للدين لا يمكن أن تتغير موازينها أو تتبدل آثارها على اختلاف الزمان والمكان ، لأنها حقائق ثابتة وقيم خالدة كما لا يمكن أن تتغير أو تتبدل مسيرة الافلاك وسنن الطبيعة فى الكون والحياة .

وانما يجرى التغيير والتبديل داخل اطار هذه الصورة الكلية للقيم الدينية ، وانطلاقا منها لتحقيق المصلحة ومواجهة تطور الحياة وتجدد صورها . وقد كفلت هذه القيم الدينية تلبية سمحة لكل حاجات البشر ، واستجابة غير محدودة لكل تطلعات الفكر الانسانى .

ذلك أن الدين ـــ حتى فى الامـــور التعبـــدية ـــ يحرص على تأكيد معنى « المصلحة » فى هذه العبادات ، ولا يفرضها فرضا بدون تعليل أو بيان ..

- « وأقم الصلاة أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٣) .
- « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (٤) .
- وفى الدعوة الى الحج يقول : « ليشهدوا منافع لهم » (٥) .

ومن القواعد المقررة فى الشريعة ، أنه حيث تكون المصلحة فثم شرع الله ، وأنه لا ضرر ولا ضرار .

وانطلاقا من هذه المبادىء العامة نشأ ما يسمى بالمصالح المرسلة ، وهى ما لا يشهد لها « نص » بالابقاء أو الالغاء . والتى تحقق « المصلحة » حيث تكون ما دامت لا تعارض نصا قطعى الدلالة .

ان أبا بكر ـــ رضى الله عنه ـــ حارب ما نعى الزكاة ، وليس لعمله هذا سابقة من قبل . وأسقط عمر سهم المؤلفة قلوبهم من الصدقات ، حين قويت شوكة الاسلام ، كما أسقط حد السرقة عام المجاعة . مع ما فى ذلك من ظاهر المخالفة لما ثبت بالنص ، لأن دلالة الحكمة أقوى من ظاهر النص . وليس هناك استهداف للمصلحة وحرية فى التشريع أبلغ من هذا الذى فعله عمر !!

ومن القيم الدينية الخالدة فى مجال الفكر اطلاق حوافز الانسان للنظر فى

---

(١) الآية ٢٣ و ٢٤ سورة الاسراء .
(٢) الآية ١٣ سورة الحجرات .
(٣) الآية ٤٥ سورة العنكبوت .
(٤) الآية ١٠٣ سورة التوبة .
(٥) الآية ٢٨ سورة الحج .

ملكوت السموات والارض ، واثارة أشواقه للكشف عن عالم الغيب فى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، وأن يجاهد فى عمارة الارض التى استخلفه الله فيها ، ولم يقيد الدين ذلك الا بالحدود التى تحمى الفرد والمجتمع من غوائل الاسراف والبغى .

والانسان قد يتطور أسلوب تفكيره بما يكتسب من تجارب العلم والمعرفة ، وقد يتطور أسلوب حياته من البداوة الى الحضارة . فهل هذا التطور فى أساليب التفكير والحياة ، يستدعى بالضرورة تغييرا وتبديلا فى القيم الدينية الثابتة ، أو الانصراف عنها الى قيم أخرى تحل محلها وتشغل ما تخلفه من فراغ ؟

ان التطور العلمى فى الوصول الى القمر مثلا ، لم يقتض الخروج على قوانين الطبيعة الثابتة . ولكن هذا التطور تم من خلال هذه القوانين التى جعلت لكل من الارض والقمر منطقة جذب محدودة بأبعادها ، فاذا انطلق الانسان بمركبته وتجاوز منطقة الجاذبية الارضية ، يظل فى اتجاهه البعيد حتى يصل الى منطقة الجاذبية الاخرى التى تقوده الى الهبوط على القمر بسلام !!

وكذلك التطور الذى يحققه الانسان فى حياته ، لا يستدعى بالضرورة الخروج على القيم الدينية ، أو ابدالها بقيم أخرى غيرها ، لأنه انما يحقق هذا التطور من خلال ما تدعو اليه هذه القيم التى تستهدف تحقيق معنى وجود الانسان فى هذه الحياة .

لماذا اذن نشأ الصراع فى بعض العصور ، وفى بعض المجتمعات ، بين الدين والعلم ، وبين الدين والحياة ؟

الحقيقة أن الصراع لم ينشأ على هذه الصورة ، لم يكن هناك صراع بين الدين والعلم ، ولا بين الدين والحياة ، لأنه لا تعارض بين الدين وبين العلم والحياة . .

وانما نشأ الصراع فى أوربا فى العصور الوسطى بين رؤساء الدين وبين الرواد من علماء الفلك والجغرافيا ، حين اصطدمت الكشوف العلمية لهؤلاء الرواد ، بما لهؤلاء الرؤساء وغيرهم من تفسيرات للكون والحياة .

من هؤلاء الرواد « نيقولا كوبرنيكوس » الذى أعلن نظرية تعتبر اليوم من البديهيات ، ولكنها أثارت فى ذلك الوقت عاصفة من الانكار الشديد . . وهى أن الشمس لا تدور حول الارض ، ولكن الارض ومعها الكواكب السيارة هى التى تدور حول الشمس .

ولولا أن « كوبرنيكوس » توفى بعد ساعات من صدور كتابه الذى ضمنه هذه الحقيقة العلمية ، لما نجا من العقاب الاليم الذى تعرض له من جاء بعده من العلماء . .

ومن هؤلاء « غاليليو » الذى تابع جهود سلفه وأثبت نظرية دوران الارض ، فقاده هذا الى الوقوف أمام محكمة التفتيش فى روما ، ليحاكم بتهمة الكفر والالحاد ، ويلقى من أجل ذلك السجن والتعذيب والاهانة والمصادرة ، ثم يموت بعد ذلك شيخا محطما محروما حتى من الصلاة على جثمانه ، منبوذا بعيدا عن مقابر أهله ومواطنيه ! (١) .

ولقد ظل الصراع محتدما بين آباء الكنيسة والعلماء عدة قرون حول هذه الحقائق وغيرها من الكشوف العلمية ، وحول مصادرة حرية الفكر باسم الدين — الامر الذى أحدث فجوة كبيرة بين التصور الدينى للكون والحياة كما يريد أن

---

(١) كتاب « تاريخ الصراع بين اللاهوت والعلم » للاستاذ اسماعيل مظهر .

يفرضه رؤساء الدين هناك ، وبين الحقائق العلمية التى غزت العقول وأصبحت من القضايا المسلم بها فى منطق العقل والواقع .

ومن جهة أخرى ، كان موقف بعض رؤساء الدين هناك يتعارض مع الحقوق الانسانية للفرد والمجتمع ، فى علاقة الانسان بربه ، وفى الاسس التى يقوم عليها كيان المجتمع السليم ..

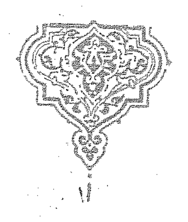
- كان بعض الباباوات يبيعون الجنة بالبطاقات !
- وكان بعضهم يبيع الوظائف الكنسية لمن يدفع ثمنا أكبر ..
- وكانت الكنيسة تمثل النظام الاقطاعى فى حيازة الاراضى الشاسعة ، وتسخير « المؤمنين » فى خدمتها لحساب الآباء والرؤساء !
- ثم كانت العلاقات « المريبة » والفاضحة ، بين بعض الآباء وسيدات القصور .. (١) .

من هذا وذاك ، اهتزت الصورة الدينية فى الغرب ، وانحسر سلطان الدين عن مكانه الطبيعى فى النفوس وفى المجتمع ، وأصبح عند القلة المتدينة طقوسا يؤدونها دقائق كل أسبوع ..

هذا فى الغرب ، فماذا فى الشرق ؟

ان الامر هناك قريب من ذلك . والدين فى جوهره برىء مما ألصق به فى تلك المجتمعات ، لقد حكموا على الدين من خلال مواقف بعض المنتسبين اليه ، ومن خلال الصور التى انحرفت بالناس عن حقيقة الدين وقيمه وأهدافه ، حتى قال بعضهم فى وصف هذا الدين الذى عايشوا رجاله وصورته المزيفة انه « أفيون » الشعوب . لأن الدين بهذه الصورة كان مسخرا لدعم سلطان القياصرة ، وفرض العبودية والاستغلال على الجماهير ، وصرفهم عن الجهاد لاسترداد حقوقهم وكرامتهم وبناء مجتمعهم على أساس من الكفاية والعدل .

هذه هى أزمة الدين فى المجتمعات التى انحسرت فيها القيم الدينية عن واقع الحياة . وهى أزمة لا تقوم على تعارض بين القيم الدينية وتطور الفكر والحياة ، ولكنها تقوم على مواريث فكرية واجتماعية استقرت هناك نتيجة الصراع المزعوم بين الدين والعلم ، وبين الدين والحياة ..



---

(١) كتاب « تاريخ الفلسفة الغربية » تأليف برتراند رسل . ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود .

من دراسات المستشرقين

حول القرآن الكريم

للدكتور
عبد العال سالم مكرم
جامعة الكويت

التقاء الثقافات بين الأمم المختلفة ظاهرة معروفة سجلها التاريخ فى صفحاته الخالدة ، وهذا أمر طبيعى ، لأن الفكر الانسانى يدور فى فلك واحد ، هو الانسان نفسه ، من حيث ارتباطه بالحياة ، من حيث حاجياته ومطالبه ، من حيث تقدمه وتطوره ، من حيث نظرته الى الحياة ، وفهمه لطبيعة الوجود ، ومن حيث ارتباطه بقوة هى أعظم من قوته ، تسيطر عليه ، وترسم له خطوط رسالته فى الحياة .

ولما فتح المسلمون هذه البلاد العديدة ، باسم العقيدة ، وباسم الاسلام ، لم يبخلوا بثقافتهم الاسلامية على البلاد التى فتحوها ، فقدموا لهم من زادها الفكرى ما أنار لهم جوانب الحياة ، فكراً وعقيدة سياسة واجتماعا ، أدبا وثقافة اصلاحا وتهذيبا ..

ففى بلاد الأندلس مثلا تحتل الثقافة الاسلامية المكان الأعلى فى نفوس أبناء هذه البلاد ، مما هال أحد المفكرين الاسبان ، فكتب يقول :

« ان أرباب الفطنة والتذوق — سحرهم رنين الأدب العربى ، فاحتقروا اللاتينية ، وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها وأنهم يعجبون بشعر

العرب ، وأقاصيصهم ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون ، ولا يفعلون ذلك لادحاضها والرد عليها ، بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح ، فأين اليوم من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والانجيل غير رجال الدين . الى أن يقول : .. ان الجيل الناشيء من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدبا أو لغة غير الأدب العربي واللغة العربية وانهم ليلتهمون كتب العرب ، ويجمعون منها المكتبات بأغلى الأثمان » (١) .

ومن الأندلس سطع نور الحضارة الاسلامية على أوربا ، فأنارت أمامها الطريق الى الحضارة الأوربية التي نمت وتطورت فغزت آفاق الفضاء .

ولما ضعف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها تطلع الاستعمار باسم هذه الحضارة الى السيطرة على بلادهم ، واغتصاب ثرواتهم ، وتبديد ما لديهم من قيم ، وسلب ما بقي لهم من تراث .

على أن التراث الاسلامي ، وهو أثمن ما تملكه الأمة الاسلامية والعربية ، لم ينج من خطر هذا الاستعمار ، بل ان العديد من المؤامرات حيكت حوله ، من أجل جمعه ، والاستيلاء عليه ، بأي ثمن ، وبأية طريقة ، ليفقد المسلمون هذا التراث الذي يعتزون به من ناحية وليقدمه لهم المستشرقون بعد ذلك مشوها من ناحية أخرى ، ليكون وسيلة تضليل تشكك المسلمين في هذا التراث لينقطع الخيط الذي يربط الأمة الاسلامية بماضيها التليد ، وأمجادها السالفة فتعيش بلا تاريخ ، وتحيا بلا ماض ، ومن ثم تهتز ثقتها بنفسها ، فتكون كالشجرة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، وقد عثر في مكتبة (دير الشوير) بلبنان على وثائق تثبت هذه الحقيقة ، ومن هذه الوثائق الوثيقة التي تنص على أنه (في سنة ١٦٧١م أرسل عالي الجناب الملك لويس الرابع عشر رسله الى جميع بلدان الاسلام لشراء المخطوطات ، وزود مبعوثيه بأوامر شريفة الى جميع القناصل الفرنساوية ليضعوا رجالهم وأموالهم في خدمة هذه الغاية) (٢) .

أليست هذه الوثيقة تثبت في صراحة ووضوح تآمر الاستعمار الأوربي منذ القرن السابع عشر على تراثنا لتبديده ، أو تشويهه ، أو مسخه ؟ واذا فقدت الأمة تراثها ، فقدت أغلى ما تملك ، بل فقدت نفسها ، ومسحت وجودها من التاريخ .

ولا شك أن تراثنا الاسلامي والعربي مصدره الأول القرآن الكريم ، فهو الينبوع الذي استقت منه المعارف والعلوم ما أمدها بالحياة ، وما بعث فيها الحركة والازدهار .

وهذا القرآن الكريم هو الخط الأكبر في وجه الاستعمار ، فما دام المسلمون يحافظون على القرآن ، حفظا ، وعلما وعملا فان مطامحهم تتحطم على صخرته العاتية ، لأنه قوة تعمل عملها في النفوس ، فتحول الضعف الى قوة ،

---

(١) الاسلام والمستشرقون : الأستاذ زكريا هاشم ص ١٧ : طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٥م .

(٢) الاسلام والمستشرقون ص ٢١ .

والعجز الى حركة واليأس الى أمل : وصدق الله العظيم « **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** » .

من أجل ذلك صاح (غلادستون رئيس الوزارة البريطانية ، وبيده القرآن الكريم فى مجلس العموم البريطانى فى عهد الملكة فكتوريا وهو يقول : (ما دام هذا الكتاب باقيا فى الأرض فلن يقر لنا قرار فى بلادهم) .

لهذا فقد أخذ المستشرقون على عاتقهم التشكيك فى هـــذا القرآن الكريم وذلك بترجمته ، وباقامة الدراسات فى مجاله .

وحينما بدا لى أن أكتب فى هذا الموضوع ، وعشت فى المراجع التى كتبت عن المستشرقين فى مجال الدراسات الاسلامية أعنى هذا المجهود الضخم الذى بذل فى ترجمة القرآن الكريم من العربية الى اللغات الأوروبية منذ سنة ١١٤٣م حيث ظهرت أول ترجمـــة للقرآن الكريم باللاتينيـــة على يد المستشرق (روبرت أوتشتر) الى يومنا هذا ، وراعنى أكثر هذا السيل المتدفق من الدراسات التى دارت حول القرآن الكريم ، أقول : لقد تملكتنى الدهشـــة ، واستبد بى الألم ، كيف جندت هذه النفوس لتحمل هذا العبء الثقيل ؟ وما السر وراء هذه الجهود ؟ ولماذا وقف علماؤنا متجمدين أمام هذه الأعمال الضخمة ، لِم لم تعرض ؟ لم لم تنقد ؟ لم لم تقم حولها الدراســـات ، ان الاسلام قوة ويخشـــى المستعمرون أن يجذب بقوته الكثير من أبناء جلدتهم ، فحاول الكثير منهم أن يشوه هذا الاسلام فى مصدره الأول ودعامته الأولى ، وذلك بالاجهاز على كتاب الله .

ومن هؤلاء المستشرقين الذين حملوا معاول الهدم المؤرخ (برايس) الذى قال : (أن احتكاك الاسلام بالحضارة سيقضى عليه ويؤذن بنهايته) .

ومن هؤلاء (لنز) الذى قال : (ان الاسلام قد يبقى اذا ترك لنفسه ، أما اذا احتك بالمدينة الحديثة فانه يمت لا محالة) .

ومن هؤلاء (بيشون) الألمانى القائل : (ان انحطاط المسلمين يرجع الى أسباب متصلة بالاسلام نفسه لعدم موافقته روح التمدن) (٣)

وانتشرت حركة الاستشراق فى أوربا وأمريكا ، ولا زالت فى نمو مستمر ، ولا زالت المطابع ، ودور النشر تخرج لنا الكثير من تراثنا العربى والاســـلامى محققا بيد هؤلاء المستشرقين ، وان الكثير منه قدموه لنا ناقص التكوين أو مشوه الولادة ، أو محشوا بالأباطيل .

والذى يدعو الى العجب حقا أن المثقفين من أبناء العرب الذين تتلمذوا على هؤلاء المستشرقين عاشوا بأفكارهم ، لم يحاولوا أن يجددوا ، لم يحـــاولوا أن يردوا الحق إلى نصابه ، بل كانوا مفتونين بآراء هؤلاء المستشرقين يرددونها من غير وعى ، كأنها قرآن منزل لا يقبل النقاش أو الجدل .

---

(٣) من مقدمة كتاب (المستشرقون والاسلام) .

فباسم حرية التفكير التى يدعونها تحطمت المقاييس ، وأوشك التراث على الضياع مع أن حرية التفكير التى تقوم على المنطق ، بعيدة عن الهوى ، بريئة من النوايا السيئة لا تتعارض مع الاسلام ، بل لا أبالغ اذا قلت انها مبدأ من مبادئه ودعامة من دعائمه ، لأن الاسلام ، أتاح للعقل الانسانى هذه الحرية فى التفكير لأنه ابن الحياة ، ومن حقه أن يتعرف عليها معرفة كاملة ، وبهذه المعرفة يشتد عوده ، ويتسع ادراكه ، ومن ثم يستطيع أن يتطلع الى آفاق أرحب والى مجالات أوسع بحيث لا يقف عند ظواهر الأشياء ، وانما يتعمق فى كنهها ليدرك أسرار الوجود ، وحقيقة الحياة ، وبذلك يساعد الانسانية فى تقدمها وتطورها .

ولو سار المستشرقون فى بحوثهم ودراساتهم وراء هذه الغاية لأفادوا الانسانية ، وقدموا لها المصباح الذى ينير لها دياجير الحياة ، ولكن التعصب الأعمى وقف حائلا بين الكثير منهم وبين هذه الغاية ، فكانت معظم أفكارهم حول الاسلام تحتاج الى تصحيح أو تعديل حتى لا يقع ناشئة المثقفين فى حبائلها ، فتلتوى فى نفوسهم وسائل التفكير .

وهذا الانتاج الضخم فى مجال الدراسات القرآنية الذى أشرت اليه سابقا قد يجهله الكثير من المثقفين العرب مع أن الواجب يقضى (أن نفهم حقيقة ماضينا وحاضرنا ، وأن نقرأ ما يكتب لنا أو علينا وما نعرف أو نوصف به) .

من أجل ذلك أحب أن أضع بين يدى القارىء صورة لهذه المجهودات فى الدراسات القرآنية التى قام بها المستشرقون ، وهى تتمثل فى أمرين هما :

(١) ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأوروبية .
(٢) الدراسات التى دارت حول القرآن الكريم .

أولا : ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الأوروبية :

كانت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة اللاتينية : وقام بها المستشرق روبرت أوتشتر : فى عام ١١٤٣م وقد كان روبرت أسقفا فى أسبانيا ، وتثقف بالثقافة العربية ، واشتغل بالرياضة والفلك ثم صرف عنهما الى ترجمة القرآن باللغة اللاتينية وقد استعان باثنين من العرب فى هذه البلاد .

اللغة الفرنسية : وقد ترجم القرآن الكريم باللغة الفرنسية على يد جماعة من المستشرقين الفرنسيين أذكر من هؤلاء : الدكتور (ماردروس) وقد ولد فى القاهرة ١٨٦٨م ، وتعلم فى مدرسة الآباء اليسوعيين وترجم القرآن الكريم الى الفرنسية عام ١٩٢٦م .

= مونتيه : من أصل سويسرى ، وأنتخب عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق منذ نشأته ، وترجم القرآن الكريم الى الفرنسية ١٩٢٩م ، ونقلت الترجمة الى اللغة الايطالية فيما بعد .

= أوكتاف بل : ولد فى الجزائر حيث تلقى علومه هناك ، وعين مديرا

لمعهد الدراسات العليا ، وقد اشترك مع محمـــد التيجانى فى ترجمة القرآن الكريم الى الفرنسية .

= بلاشر : تلقى دروسه الثانوية فى الدار البيضاء ، وتخرج بالعربيـــة من كلية الآداب بالجزائر .

ترجم القـــرآن الكريم الى اللغـــة الفرنســـية فى ثلاثـــة أجزاء طبــــع باريس ١٩٥٢م .

اللغـــة الايطاليـــة :

ومن المستشرقين الايطاليين الذين نقلوا القرآن الكريم الى اللغة الايطالية :

= الأب ماراتش : وقد ولد فى ضاحية (لوكا) بايطاليا ، وتعلم العربية ، وترجم القرآن الكريم الى الايطالية ترجمة حرفية سنة ١٦٩١م .

اللغـــة الانجليزيـــة :

ومن المستشرقين الانجليز الذين ترجموا القرآن الكريم الى اللغة الانجليزية :

(ج . رودويل) ترجم القرآن الكريم فى ٥٦٢ صفحة طبع لندن ١٨٧٦م .

ادوارد هنرى بالمر : ترجم القرآن الكريم سنة ١٨٨٠م طبع أكسفورد .

جورج سيل : ترجم القرآن الكريم فى ٤٧٠ صفحة ١٨٩٢م يقول الأستاذ نجيب عفيفى : (وقد نجح فى ترجمته فذكرها فولتير فى القـــاموس الفلسفى ، وأعيد طبعها مرارا ، الا أنها اشتملت على شروح وحواش ، ومقدمة مسهبة هى فى الحقيقة بمثابة مقالة اضافية عن الدين الاسلامى عامة حشـــاها بالأفك ، واللغو ، والتجريح وقد نقلها الى العربيـــة ابن الهاشم العربى ١٩١٣م طبـــع القـــاهرة) (٤) .

م رمادوك وليم بكثول : ترجم معانى القرآن الكريم سنة ١٩٣٠م قصـــد بعدها مصر لمراجعة ترجمته مع بعض العلماء ، وطبعت طبعـــة ثالثة فى ٦٩٣ صفحة طبع لندن ١٩٦٢م .

ريتشارد بل : ترجم القرآن الكريم سنة ١٩٤١م وكان جل غرضه من هذه الترجمة تحليل السور المتفرقة بوضع قوانين النقد الأدبى لها .

اللغـــة الهولنـــدية :

ومن المستشرقين الهولانديين كرامزر .

ترجم القرآن الكريم الى الهولاندية ١٩٥٦ طبع أمستردام بروكسل .

اللغـــة الألمانيـــة :

ومن المستشرقين الألمان :

فردريخ شواللى : وهو تلميذ المستشرق نولدكه ، وقد أعـــاد طبع تاريخ النص القـــرآنى لنولدكه بعـــد تحقيقه ، والتعـــليق عليه فى مجلـــدين طبـــع (ليبزيج ١٩٠٩ — ١٩١٩م) .

---

(٤) المستشرقون : نجيب عفيفى ج ٢ ص ٤٧١ .

نولدكه : أشهر آثاره : أصل وتركيب سور القرآن طبع ١٨٥٦م ثم أعاد النظر فيها وترجمها الى الألمانية ونشرها بعنوان : تاريخ النص القرآنى سنة ١٨٦٠م .

اللغة الدانماركية :

يدرسين : ندب فى عام ١٩١٦ الى جامعة كوبنهاجن محاضرا ، فترجم القرآن الكريم الى الدانمركية طبع أستكهولم ١٩١٧م .

ثانيا : الدراسات التى دارت حول القرآن الكريم :

باللغة الفرنسية :

(توافق القرآن والانجيل) بحث نشره المستشرق يوستل الذى ولد فى مدينة بارنتون من أعمال نورماندى ونشر سنة ١٥٤٣م .

(السامريون فى القرآن) بحث للمستشرق جوزيف هاليفى من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بالسوربون ونشر بحثه فى المجلة الآسيوية ١٩٠٨م .

(وجه الشبه بين القرآن وشعر أمية بن أبى الصلت) بحث للمستشرق الفرنسى هيارناڤا وقد نشر بحثه سنة ١٩٠٤م .

(بحث عن القرآن الكريم) للمستشرق البارون كارادى ڤو وقد نشر بحثه ١٨٩٨م .

(دراسة آية من القرآن الكريم) للمستشرق جريڤو وقد نشر بحثه ١٩١٤م فى مجلة الشرق المسيحى .

(القنديل والزيت فى القرآن) للمستشرق الفرنسى كلرمون ــ جانو وقد نشر بحثه فى مجلة تاريخ الأديان ١٩٢٠م .

(النفس فى القرآن) للمستشرق بلاشر وقد نشر بحثه فى مجلة الساميات ١٩٤٨م .

باللغة الانجليزية :

(سلك البيان فى مناقب القرآن) للمستشرق الانجليزى بنريس وقد طبع فى لندن ١٨٧٣م .

(التطور التاريخى للقرآن) للمستشرق الانجليزى كانون أدوارد سل وقد طبع فى مدراس ١٨٩٨م .

(الاعجاز فى القرآن الكريم) للمستشرق الانجليزى روبسون وقد نشر ١٩٣٣م .

وقد نشر كارل ڤولليرس النمساوى أستاذ اللغات الشرقية بجامعة ڤينا بحثا بعنوان (القرآن بلهجة مكة الشعبية) .

باللغة الألمانية :

(نجوم الفرقان فى أطراف القرآن) بحث للمستشرق الألمانى ڤلوجيل المولود فى ١٨٠٢م والمتوفى ١٨٧٠م .

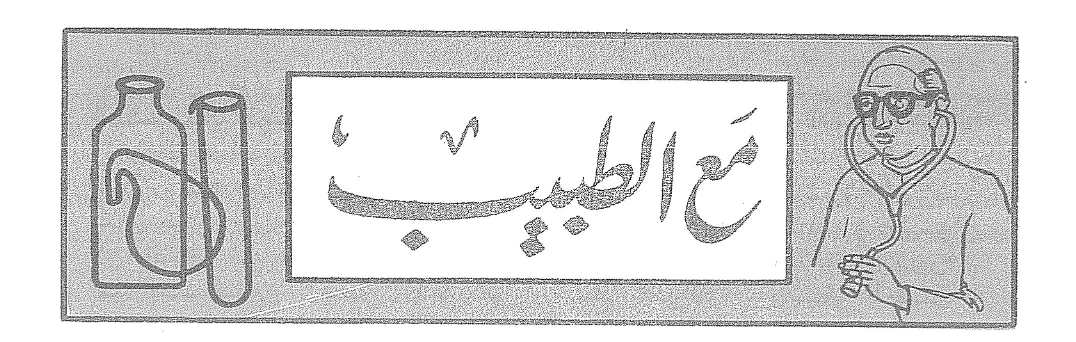
(الكلمات الأجنبية فى القرآن) للمستشرق الألمانى فرانكيل وهى رسـالته فى الدكتوراة . وقد ولد فى ١٨٥٥ ــ ١٩٠٩م .
(تفسير القرآن وترتيبه) للمستشرق هيرتوريج هير طبع ١٩٠٢م .
(حروف النفى فى القرآن الكريم) طبعت ١٩١١م ، والطبعـة الثانية بتوسع ١٩١٤م .
(معجم قراء القرآن وتراجمهم) طبع ١٩١٢م .
(تحقيق القراءات الشاذة فى كتاب المحتسب لابن جنى طبع ١٩٣٣ م .
(كتاب مختصر القراءات) لابن خالويه طبع ١٩٣٣م .
وهذا الانتاج للمستشرق الألمانى برجستراسر وبعض الكتب المحققة من التراث ، قد طبعت باللغة العربية .
(كتب تفاسير القـرآن) للمستشرق الألـمانى زايبـولد المولود ١٨٥٩م والمتوفى ١٩٢١م .

(التوراة فى القرآن) للمستشرق الألمانى غايل طبع ١٨٣٥م .
(مذهب الطبيعة الواحـدة النصرانى فى القرآن) للمستشرق بومشتارك وله كتاب (النصرانية واليهودية فى القرآن) طبع ١٩٢٧م .
(مراجع القرآن وعلومه) .
(رسالة فى تاريخ علم قراءة القرآن) .
وهذان البحثـان للمستشرق الألـمانى بريتسل المولود عـام ١٨٩٣ ــ المتوفى ١٩٤١م .
(الشرع فى القرآن) للمستشرق الألمانى ريجلين .
(دليل القرآن) للمستشرق الألمانى مالير .
(تفسير القرآن) للمستشرق الألمانى كومبرت وقد نشر ١٩٤٨م .
(الصلاة فى القرآن) للمستشرق الألمانى جوتيه .
(القـرآن) بحث ألقى فى مؤتمر المستشرقين للمستشرق الألمانى أنطون شبيالير وقد ولد سنة ١٩١٠م . (٥)

وبعد ، فان الناظر الى هذه الدراسات القرآنية يرى أن وراءهـا سموما دفينة ، تقدم سهلة التناول باسم المناهج الحديثة فى الدراسات الاسلامية من ناحية ، وباسم حرية الفكر من ناحية أخرى .
لهذا ، فان الواجب يقضى أن ينظر الى تراثنا الذى مسته يد المستشرقين نظرة واعيـة فيها الكثير من اليقظـة ، وفيها التعمـق الذى يكشف مـا وراء السطور ، فما وافق قيمنا ، وسار فى درب ثقافتنا الاسلامية قبلناه ، وما حاد عن السنن وركب الشطط ، ولاذ بالانحراف رفضناه ، وفضحنـاه ، وهنـاك جوانب فكرية أثارها المستشرقون فى مجال الدراسات القرآنية استطعت أن أبين زيفها ، وألمس عوارها ، فالى بحث قادم لعرض هذه الجوانب ، والرد عليها ان شاء الله ، تلبية لقول الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

---

(٥) الذى أعاننى فى جمع هذه الدراسات من بين السطور الكتب الآتية :
أ ــ المستشرقون : نجيب عقيقى ط ثالثة ــ دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .
ب ــ المنتقى من دراسات المستشرقين : الدكتور صلاح الدين المنجد ــ طبع القاهرة ١٩٥٥م .
ج ــ المستشرقون والاسلام : زكريا هاشم طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .



نفخ الروح غير تكاثر الخلية

الصبغي الجنسي المذكر والمؤنث

تفضل الدكتور حسن هويدى بالاجابة عن أسئلة وجهت اليه حول بيان ما جاء فى بعض الأحاديث النبوية عن نفخ الروح فى الجنين وعن تحديد نوعه ذكورة وأنوثة .

وفيما يلى نص الأسئلة والأجوبة ننشرها عن حضارة الاسلام الدمشقية ردا على الاستفسارات التى وردت للمجلة فى هذا الموضوع

١ — فى الحديث الشريف :

« ان احدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات .. » .

أ) هل ثبت علميا هذا التسلسل الزمنى والانتقال من نطفة الى علقة الى مضغة ؟

ب) هل الروح تنفخ فى الانسان بعد تمام الـ ١٢٠ يوما أم أنها تنفخ تدريجيا ؟

ج)المعروف أن النطفة هى خلية حية ، وكذلك البيضة خلية حية ، ومن اجتماعهما تتكون البيضة الملقحة والأخيرة تتكاثر حتى يتشكل الجنين على الشكل المعروف .

والسؤال : ما معنى نفخ الروح هنا ما دام هناك تكاثر وما دامت النطفة والبيضة خليتين حيتين ؟

د) ما هو الرأى حال انزال الجنين قبل الـ ١٢٠ يوما ، ووضعه فى محاضن خاصة حتى يتم التخلق ؟

هـ) يحاول بعض العلماء اليوم تلقيح البيوض والنطف خارج جسم الحى أى فى الزجاج ، فالى أى مدى يمكن نجاح هذه المحاولة وما هو رأى الاسلام فيها ؟

٢ — وفى الحديث الشريف :
اذا سبق (أو علا) ماء الرجل ماء المرأة كان المولود ذكرا ، واذا كان العكس كان المولود أنثى .

فكيف التوفيق بين الحديث الشريف وبين ما ثبت علميا من أن الرجل هو الذى يحدد المولود ذكرا أو أنثى ، لأن النطف فى الرجل تحمل أما الصبغى الجنسى المذكر أو الصبغى الجنسى المؤنث ، ذلك بعد الانقسام المنصف ، بينما البيضة فى المرأة تحمل فقط الصبغى الجنسى المؤنث .

فاذا كانت النطفة الملحقة للبيضة تحمل الصبغى الجنسى المؤنث كان المولود أنثى ، واذا كانت النطفة الملحقة للبيضة تحمل الصبغى الجنسى المذكر كان المولود ذكرا .

* * *

١ — الحديث الشريف « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه » .

أ) نعم ثبت علميا هذا التسلسل الزمنى ، والانتقال من نطفة الى علقة ، ثم الى مضغة ، وكثيرا ما يذكر بعض المدرسين فى كلية الطب الآية الكريمة الدالة على ذلك بكل اعجاب .

ب/ج) قضية نفخ الروح بعد تمام الـ ١٢٠ يوما جاء بها الحديث الصحيح يخبر عن هذا السر العظيم من عالم الغيب ، قبل أن يصل الطب الى ما وصل اليه من علم الجنين ، وها هنا يجب أن نميز بين أمرين لنحصر الاجابة على الفقرتين (ب/ج) بفقرة واحدة .

الكائن البشرى فيه روح حيوانية وروح بشرية ، أما الروح الحيوانية ، فهى كالتى يتمتع بها الحيوان بل تشبه النامية النباتية فى النبات ، ويتم بكل من الروح الحيوانية والنامية النباتية توالد الخلايا وتكاثرها ، والأعمال الغريزية ووظائف الحواس دون أن تهب جسم النبات أو الحيوان الادراك الشامل أو البصيرة النافذة أو العقل المدبر ، أما الروح البشرية التى تميز بها الانسان على النبات والحيوان فهى التى يشرق منها نور البصيرة ، فيتم الادراك ، ويسيطر العقل ، وتتصرف الارادة ، ويستقيم المنطق ، مما حرم منه الحيوان على الرغم من تمتعه بالحياة الحيوانية والتصرفات الغريزية ، ولذلك عرفوا الانسان بأنه حيوان ناطق متحرك بالارادة ، ولو لم تكن ارادة وعقل لما صح تكليفه ، ولذلك لم يكلف الحيوان .

اذا تبين هذا عرف منه الفرق بين الروح الحيوانية التى تتكون تدريجيا بتكاثر الخلايا الحية فى جسم الانسان والحيوان على السواء ، وبين الروح البشرية التى تنفخ فى الجنين بنهاية الـ ١٢٠ يوما ، وبها يمتاز صراحة على النبات والحيوان ، ولو لم تكن روحا أخرى عظيمة ، لما امتاز الانسان على الحيوان بعقل وادراك ومنطق ، ومن توهم بعض طلاب الطب ظنهم أن روح الانسان ليست الا النامية النباتية ، أو الحيوانية التى بها تتكاثر الخلايا ، وتتولد الاخلاط ، وأذكر أن ثمة قولا لسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه يفصل فيه بين الروح البشرية التى هى سر من أسرار الله تعالى وهبها الانسان تكريما وعناية ، وبين النامية الحيوانية والنامية النباتية ، ولا أذكر أين مر بى هذا الكلام النفيس لأشير اليه على التحديد .

بقى هنا أن نشير الى أن كتب علم الجنين فى الطب الحديث تنص على أن الجنين فى نهاية الأشهر الأربعة

يكون طوله (١٦ ــ ٢٠) سم ووزنه (٢٧٠) جراما ، وتظهر الأوبار على جسمه، ويكتمل أنبوب جهازه الهضمي ويبدأ الكبد بعمله الوظيفي ، ويكون قد تميزت ذكورته وأنوثته منذ الشهر الثالث ، اذن بعد هذا التكامل الجسدي الحيواني (بواسطة تكاثر الخلايا التدريجي) أصبح الجسم مهيأ لايداع الروح البشرية التي هي من أمر الله ليتكامل تكاملا آخر بهيئة لحمل رسالته التي تميز بها على سائر المخلوقات ، وهذا طبعا من أخبار الغيب الا أنه لا يتعارض مع العلم ، بل ينسجم معه تماما بغير التباس ، ويدل عليه ــ كما قلنا ــ امتياز الانسان بالعقل والارادة والمنطق .

د/هـ) ان انزال الجنين قبل (١٢٠) يوما لا يؤدي الى شيء ، ويصيب الجنين حينئذ الموت المحقق وهو موت الحياة الحيوانية (حياة الخلايا) مهما حاول محاول ، أما محاولة بعض العلماء تلقيح البيوض بالنطف في الزجاج فلم تنجح ، ولم يتكون من ذلك الا قطعة لحمية غير متميزة ولا مخلقة فهي كتلة من الخلايا فحسب ، وقد أجمع أطباء التوليد أن الجنين النازل من الرحم قبل الشهر السادس لا يعيش .

٢ ــ الحديث الشريف (اذا سبق ماء الرجل ماء المرأة) .

ان ما كتب علميا من أن ماء الرجل يشتمل على الصبغي المذكر والصبغي المؤنث ، وان ماء الأنثى لا يشتمل الا على الصبغي المؤنث ، يذكر بحقيقة خلق المرأة الأولى من الرجل الأول (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) .

اذ لو لم تشتمل حقيقته على حقيقتها لما أمكن أن تنبثق عنه الا أن يشاء الله سبحانه خالق الأسباب ، وأن الذي ذكره أن الحديث ورد بمعنيين متباينين الأول ما ذكرتم ، والثاني (اذا سبق ماء الرجل ماء المرأة أشبه الولد أباه) وبالعكس ، غير أني لا أذكر سند الحديث بلفظه الذي ذكرتم فان ثبتت صحته كان التوفيق بينه وبين ما ذكر علماء هذا الفن كما يلي :

ــ اذا كان الولد ذكرا كان ذلك بسبب غلبة الصبغي الجنسي المذكر (وهي غلبة وعلو لماء الرجل لا شك فيها) . وذلك منسجم تماما مع ما جاء في الحديث الشريف .

ــ اذا كان الولد أنثى كان ذلك بسبب غلبة الصبغي الجنسي المؤنث (الموجود في نطفة الرجل) .

ولكن لما كان الصبغي المؤنث في الرجل مشبها للصبغي المؤنث في المرأة ، بل هو عينه تركيبا وتأثيرا صح أن نسميه ماء الأنثى «وماأشتمل عليه ماء الرجل الا لصفة كما قال فيه دون الأنثى بنى عليه تخلق الأنثى منه في بادىء الأمر » واذا صح أن نسميه ماء الأنثى كانت الغلبة والعلو لماء الأنثى حالة تولد الأنثى ، وصح لنا حينئذ أن نقول: اذا سبق ماء المرأة ماء الرجل كان المولود أنثى .

وهنا يجب أن نلاحظ ملاحظتين الأولى : أنه لولا وجود الصبغي الجنسي المؤنث في ماء المرأة لما كان المولود (أنثى على الرغم من الصبغي المؤنث في ماء الرجل) اذن فصبغي المرأة المؤنث كان له دور ضروري لازم (في حالد تولد المولود أنثى) لا محالة . . . .

والثانية : لا يبعد أن يكشف العلم ان التأثير في التأنيث متوقف على الصبغي الأنثوي في المرأة بالدرجة الأولى دون أن يتنافى مع وجود الصبغي المؤنث وضرورته في ماء الرجل .

حفلة خيرية

قال الطالب الفتى لأستاذه : ما بال قوم يعمرون الحانات والمراقص ، ويقترفون السيئات والآثام ، فيشربون ويلعبون ويريدون بذلك كله اغاثة الملهوف ، واطعام الجائع ، واعانة المحروم ؟

قال أحد الحاضرين : أولئك قوم يحادون الله ، ويوادون الشيطان .

قال آخر : أولئك قوم يتخذون غضب الله القوى وسيلة الى رضا الانسان الضعيف .

قال ثالث : أولئك قوم يقرضون الله بالربا ، ولكنهم يتعجلون الفائدة فى الدنيا مخافة أن تضيع عليهم فى الآخرة .

قال رابع : أولئك قوم وثقوا بالحياة العاجلة ، فاغتنموا لذاتها ، وشكوا فى الحياة الآجلة ، فلم ينتظروها .

قال الأستاذ : أولئك قوم يحسن أن تقرأوا فيهم ان شئتم قول الله عز وجل : ((أذهبتم طيباتكم فيحياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)) .

الحمامة . الذئب . الانسان

أثبتت التجارب النفسية على الحيوان :

١ — أن الحمامة لا ترجع عن خصمها اذا حبست معه فى قفص واحد حتى تجهز عليه .

٢ — أن السباع عامة تجرى على سنة غير هذه السنة فى صراعها مع أبناء نوعها ، فلا يعتدى الذئب على الذئب الذى يقاتله اذا استسلم له .

٣ — أما الانسان فهل يسلك مسلك الذئب أو مسلك الحمامة ؟

أسعد لحظات الأم

أسعد لحظة تمر بحياة الأم ، ولا تفارقها أبدا — هى اللحظة التى تضع فيها طفلها ، وينصرف عنها الناس ، وتشعر لأول مرة أن هذا المخلوق الصغير قد أصبح لها وحدها .

الزوجة المثالية

أجرى استفتاء بين عدد من الازواج ، وقد أثبت أن أهم صفات يجب أن تتحلى بها الزوجة هى أن تكون :

ربة بيت ممتازة ، وأما مثالية ، وطاهية ماهرة ، وصبورة طيبة القلب .

وأن تعرف متى يجب أن تتكلم ، ومتى يجب أن تسكت ، وأن تعنى دائما بمظهرها فى بيتها حتى تستطيع أن تحتفظ بزوجها .

أكبر أخطاء الأم

يؤكد علماء التربية أن الأم ترتكب أكبر الاخطاء فى حياتها عندما تترك مهمة العناية بتربية طفلها لامرأة أخرى مهما كانت الصلة التى تربطها بها ، حتى لو كانت أقرب قريباتها .

اعداد : أبى نزار

جوامع القارة الافريقية

١ ـ أقدم جامع فى افريقية جامع الفسطاط أنشأه عمرو بن العاص سنة ١٣ هـ .

٢ ـ يليه جامع الناقة بطرابلس . أنشىء سنة ٢٣ هـ .

٣ ـ وبعده جامع عقبة بالقيروان أنشىء سنة ٥١ هـ .

٤ ـ ورابعها جامع الزيتونة بتونس أنشىء سنة ١١٤ هـ .

مقـــالات فى كلمـــات

١ ـ كسوتنا الاخيرة فى الدنيا بغير جيوب .

٢ ـ السمعة الحسنة تذهب بعيـــدا ، والسيئة أبعد .

٣ ـ الثروة تعب فى الجمــع ، وهم فى الصيانة ، وخوف من الضياع .

٤ ـ الحماقة فى الوقت المناسب عقل .

٥ ـ أحبب جارك ، ولا تهدم دارك .

أكبر دول العالـــم

١ ـ روسيا وتبلغ مساحتها (٢٢ر٤٠٢ر٠٠٠) كيلو متر مربع .

٢ ـ كندا ومساحتها (٩ر٩٧٦ر١٧٧) كيلو متر مربع .

٣ ـ الصين ومساحتهـــا (٩ر٥٦١ر٠٠٠) كيلو متر مربع .

٤ ـ الولايـــات المتحـــدة ومساحتهـــا (٩ر٣٦٣ر٣٥٣) كيلو متر مربع .

الهيموجلوبين

هو المادة الحمراء التى فى الكرات الحمراء فى الـــدم ، وعملها حمـــل الاكسجين من الرئة عند التنفس الى خلايا الجسم .

حرف الـــــدال

دخل أبو خالد يزيد المهلبى على المعتمد مرات ، فأنشده قصائد على الدال ، فقال له : يا يزيد ، ما لى أراك لا تعـــدو الدال ؟ فقـــال : وكيف أعزك الله يا أميـــر المؤمنين ، وأسمى يزيد ، وأبى محمد ، وأكنى بأبى خالد ، وأنت المعتمد ، وتسمى بأحمد ومن صفاتك الجواد ، فأين أدع الدال .

الطـــــوز

لفظ تركى معناه الغبار ، وتحمله الرياح القوية ، ويذهب فى السماء مئات الأمتار ، ويتكاثر أحيانا حتى يحجب نور الشمس ، وهو معروف فى الكويت .



دائرة المعارف الاسلامية وأبو هريرة والصحيحان

للشيخ : كمال أحمد عون

لمؤسسة الشعب بالجمهورية العربية المتحدة جهود طيبة فى بعث التراث العلمى والدينى ، وتيسير ما صعب اقتناؤه من أمهات الكتب ومراجع البحث ، الى جانب ما تنشر من مؤلفات حديثة نافعة .

ومن أعمالها الحالية طبع دائرة المعارف الاسلامية التى أصدرها بالانكليزية والفرنسية والالمانية أئمة المستشرقين فى العالم تحت رعاية الاتحاد الدولى للمجامع العلمية ، وينقلها الى العربية عدد من فضلاء الاساتذة العرب .

وهذه هى الطبعة الثانية بعد نفاذ ما أنجز منها ترجمة وطبعا فى المرة الاولى التى بدأت عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة وألف ، تحت اشراف وزارة « المعارف » على جل مجلداتها ، وقد بلغت الى حرف العين خمسة عشر مجلدا .

تعليقات العلماء :

ولقد أنصف الاســاتذة المترجمون حينما اتجهــوا — أو اتجهت وزارة « المعارف » — الى عدد من أعلام العلماء فى الازهر ودار العلوم والجامعــة وغيرها ليسهموا فى مراجعة الترجمــة ، والتعليق على بعض المواد ، وابداء الملاحظات والآراء السديدة ، مقررين أن أولئك المستشرقين لا يسلمون من هوى أو خطأ شأن الطبيعة الانسانية .

كما نصوا صراحة فى مقدمة الطبعة الثانية (الحالية) على أن هذا العمل الجليل قد تجاوز الترجمة « الى التعليق على كثير من موادها ، بالتصحيح أو التكملة أو رد هوى ، أو درء مطعن ، وتولى ذلك أئمة الكتاب والعلماء العرب . . من الاساتذة المتخصصين .

وجاءت التعليقات والتصويبات على كثير من مواد الدائرة تتوالى فى الطبعة الاولى ، وهكذا هى فى الثانية ، وتتفاوت فيما بينها ، من سطور فى الهامش الى عدة صفحات فى صلب الدائرة أثر المادة المعلق عليها ، وربما علق على المــادة الواحدة أكثر من واحد ، ونشرت تعليقاتهم فى نفس المكان تباعا ، وبدأ ذلك من أول صفحة ، وفى أول مادة ، وهى مادة الالف .

أبو هريرة فى الدائرة :

فلما جاء دور الحديث عن أبى هريرة الصحابى الجليل رضى الله عنه ، خالف المترجمون عادتهم فى عرض المادة على بعض المختصين لمراجعتها والتعقيب عليها ، **وقد جاءت المــادة مزيجا من الحقائق والاغاليط** بقلم « جولدسهير » — ولو كانت تلك الاغاليط هينة لأمكن التغاضى عنها ، أو التماس العذر لمترجميها .

واذ قد فاتهم واجب التعقيب والتصحيح — ولا ندرى لفواته سببا — فما كان ينبغى أن يفوتهم ما كتبه المحققون من علماء المسلمين ردا على ما جاء فى الدائرة المذكورة **من أخطاء ومفتريات** ، وما نشرته مجــلة الازهر — عميــدة المجلات الاسلامية — بالنسبة لأبى هريرة ، ولغيره من الموضوعات الدينية وهى كثيرة ، ثم ماتلا ذلك من مؤلفات ، ومن ترجمة لأبى هريرة فى أعلام العرب .

بل كان عليهم أن ينظروا ما دونته الدوائر العلمية التى كتبها قبلهم علماء من العرب أفذاذ ، وقد أشاروا اليها فى مقدمة الطبعة الاولى كدائرة معــارف وجدى ، ودائرة معارف البستانى (بطرس) وما كتب فى الاخيرة عن أبى هريرة بمنتهى الدقة والانصاف من مصادره المعتبرة ، مــع ما صحب ذلك من اجــلال حقيقى لهذا الصحابى الجليل .

لقد كان عليهم أن يلحقوا شيئا من ذلك بالطبعة الاولى ، أو يستدركوه على الاقل فى الطبعة الثانية ، ولكنهم لم يفعلوا !! بل زادوا الامر تأكيدا ، والخطأ اصرارا ، بترجمة أخرى بقلم « روبصون » مضافة الى الترجمة الاولى ، **متفقة معها فى كثير من الاخطاء** ، ولم يكفها الطعن فى أبى هريرة حتى تجاوزته هذه المرة الى **الطعن من طرف خفى فى صحيحى البخارى ومسلم** .

□ □ □

وفى الحق أن لو كان وكد هؤلاء المستشرقين التحقيق العلمى فى نزاهة وصدق وتثبت لما خلطوا بين حق ثابت وباطل ظاهر ، ولكان فى بعض ما أثبتوه ما يكفى لدى المنصف لكشف وجه الحق ، ودحض كل افتراء .

والى القارىء الكريم البيان :

قال « جولد سهير » عن أبى هريرة ما نصه فى الترجمة : « قدم المدينة فى أيام غزوة خيبر عام ٧ هـ فاتصل بالنبى ولزمه منذ ذاك .. وقد شجعته ملازمته للنبى على أن يروى عنه بعد وفاته من الاحاديث أكثر مما رواه غيره من الصحابة وتقدر الاحاديث التى تضاف اليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث .. ونجد بين الذين رووا عن أبى هريرة كثيرا من أكابر الاسلام فى عهده الاول .. وقد استعمله عمر على البحرين اعترافا منه بفضله فى اذاعة الاحاديث ، ولما عزل من هذا المنصب وأراده الخليفة على العمل ثانية أبى وآثر أن يعيش فى المدينة كما يعيش عامة الناس .

ووافقه صاحب الترجمة الثانية « روبصون » على هذه المعلومات ، وزاد قوله : « وقد اشتهر أبو هريرة بالتقوى » وحدد من روى عنه الاحاديث من الصحابة والتابعين بأكثر من ثمانمائة من المحدثين .

□ □ □

أبو هريرة هذا فى ملازمته للنبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن فى رأى هذين المستشرقين أن يحيط فى بضع سنين بكل هذه الاحاديث ، والامر عند « جولد سيهر » على ما يلى :

أ) اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع فى الخطأ ، فقالوا : ان النبى لفه فى بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما ، وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ما سمع .

ب) طريقته فى الرواية بأسلوب مؤثر يدل على ما امتاز به من روح المزاح تفسر ظهور كثير من القصص .

جـ) علمه الواسع بالاحاديث التى كانت تحضره دائما أثار الشك فى نفوس من أخذوا عنه ، ولم يترددوا فى التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر حتى اضطر أن يدافع عن نفسه .

د) علينا أن نقف من أحاديثه موقف الشك والحذر .

هـ) وقد وصفه « شبرنكر » بأنه المتطرف فى الاختلاق ورعا .

وقد أتم « روبصون » صاحب الترجمة المزيدة فى الطبعة الثانية فصول الرواية فرأى : « أن الاحاديث المنسوبة اليه فيها مادة كثيرة لا يمكن أن تكون صحيحة » ثم تظاهر بالانصاف وهو يقول : ولكن يصعب علينا أن نقر ما نعته به شبرنكر بقوله : انه المنافق الورع من الطراز الاول ، لأن الاحاديث التى رفعت اليه ليست كلها بالضرورة من روايته ، فقد لا يكون أبو هريرة أكثر من سند موات نسبت اليه أحاديث وضعت فى زمن متأخر عنه .. وختم حديثه بقوله : « وقد ظهر كثير من الاحاديث التى رويت عنه فى صحيحى البخارى ومسلم » .

وخلاصة تلك الاقاويل :

١ — الطعن فى شخصية أبى هريرة ، وفيما روى من الاحاديث لشبهات لديهم حامت حولها .

٢ — نتيجة لذلك توهين من روى عنه من أكابر الاسلام فى صدره الاول وهم أكثر من ثمانمائة من العلماء الاعلام .

٣ — توهين الصحيحين ، وهما أصح دواوين الاسلام بعد القرآن الكريم .

□ □ □

وأى فادحة تصيب الاسلام أشد من هذه لو صح شىء مما ذكروه !! ولو لم يكن سوى هذا ثمرة لكل ما جهد أعداء الاسلام أن ينالوه من المسلمين ودينهم ، لكفى ثمنا لكل ما بذلوه فى الكيد للاسلام من جهد ومال ، بل وما أشعلوه من حروب وعدوان على المسلمين فى تاريخهم القديم والحديث .

فى الواقع التاريخى :

أما أبو هريرة رضى الله عنه فقد أسلم قبل الهجرة النبوية كما حققه الباحثون على يد سيد من قومه هو طفيل بن عمرو الدوسى ، ولما وفد مسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر لازمه فى حله وترحاله ، وكانت اقامته بالمسجد فى أهل الصفة للعبادة ، والتلقى عن رسول الله ، لا يشغله حينذاك ما شغل غيره من المال والعيال ، وقد عرف له النبى فضله وحرصه على العلم والعمل ، وأمن على دعائه أن يرزق علما لا ينسى ، وظهرت بركات دعائه صلى الله عليه وسلم فيما حمل أبو هريرة من العلم ، كما ظهر فضله بين صحابة رسول الله ، وكثرة حفظه ، وقد راجعوه واستوثقوا من روايته كشأنهم دائما فى تحرى الحديث النبوى ، وحمل عنه الحديث كثير من أعلام المسلمين صحابة وتابعين .

شبهات داحضة :

استكثر أصحاب الدائرة على أبى هريرة حفظ هذه الاحاديث فى بضع سنين ، والحديث النبوى — كما هو معلوم — قول من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عمل من أعماله يحدث عنه من شهده ، أو اقرار على عمل الغير — وكما روى الحديث عن أبى هريرة بعض الصحابة فقد روى هو عن بعضهم كذلك — والصحابة فى روايتهم حديث رسول الله عدول .

ونسأل ويسأل كل منصف : أين حفظ هذه الاحاديث بلفظها أو بمعناها — ولا حرج فى ذلك — من حفظ القرآن الكريم بلفظه وأدائه ، ومن حفظ عشرات الالوف من القصائد كما كان رواة الادب ، ومن حفظ أنساب العرب فى تشعبها وتداخلها وشتات القبائل على وجه الجزيرة العربية ، وقد كان الصديق

أبو بكر رضى الله عنه مرجع الحفظة وامامهم ، وكان من شباب الصحابة من تعلم العبرية والتفاهم بها فى خمسة عشر يوما استجابة لتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن عباس — كما هو معروف عنه — يحفظ القصيدة من الشعر — وربما بلغت ثمانين بيتا عند سماعها لأول مرة ، وهو فى المسجد بين أصحابه .

كثرة مباركة :

أما كثرة رواية أبى هريرة فقد طال فى الاسلام عمره معلما نيف على نصف قرن ، شغل يسيرا بالولاية لعمر رضى الله عنه ، ثم عزله وقاسمه ماله على عادة عمر فى محاسبة عماله ، فلما طلبه للولاية ثانية أبى رغبة فى التفرغ لعبادته وعلمه ، ولو كان فى ولايته مغمز ما طلبه عمر ثانية .

تثبت واخلاص :

كذلك ما حسباه شكا من الصحابة فى رواية أبى هريرة أو تشكيكا فليس كما قالا ، بل هى الدقة المعهودة من صحابة رسول الله فى تلقى حديثه النبوى . ومن الاخلاص لدين الله أن يراجع بعضهم بعضا ، وأن يتثبت مثل عمر رضى الله عنه فى رواية الحديث ، فيطلب الى روى حديثا أن يأتى بمن يشهد معه فيه ، ومن الاخلاص كذلك أن يعقب أحدهم على الآخر فيما يظنه سها فيه أو غاب عنه ، لا يمنع من ذلك عظمة الراوى ، أو قوة الثقة به ، فلقد استدركت السيدة عائشة على بعض أحاديث رويت عن بعض أعاظم الصحابة ، من ذلك ما رواه البخارى من ردها رواية ابن عمر رضى الله عنه فى عذاب الميت ببكاء أهله ، فقالت : انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليعذب بخطيئته وذنبه وان أهله ليبكون عليه .

وفى رواية أخرى : انكم لتحدثون عن غير كاذب ولا مكذب ، ولكن السمع يخطىء أحيانا .

وهذه الاستدراكات وأمثالها من مفاخر الرواية الاسلامية فى النصح لدين الله ، وفى تحرى الصواب قدر الطاقة البشرية .

خصوصية :

ولقد انفردت الامة الاسلامية فى خصائصها العديدة بنقل الشريعة المطهرة نقلا متصلا بمصدرها الاول . فالقرآن الكريم بلفظه وحروفه منقول بالتواتر كتابة ورواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلغه جبريل عليه السلام .

والسنة منقولة برواية الثقات العدول من الصحابة والتابعين ومن يليهم ، وقد هيأ الله سبحانه لهذه الشريعة الخاتمة من أئمة الدين وحفظته من صانها من تحريف المبطلين ، وتأويل الجاهلين وكيد الحاقدين ، فأبطلوا كل باطل حاول أعداء الاسلام أن يلحقوه بالسنة ، أو يدسوا فيه على الرواة ، أو يلصقوه جهلا بالدين .

وان نقد الائمة للرواة ، وتحريهم مكانة الحديث سندا ومتنا مما لم يقدر مثله لأمة من أمم الارض لمـا يبين عن رعاية الله تعالى لهذا الدين الذى رضيه لعباده ، فأكمله وصانه وأتم به نعمته عليهم .

تزكيـــة :

ورواية العديد من الائمة عن أبى هريرة — وهذا شأنهم فى الدقة والضبط والتحرى عن الرواة — تزكية وأى تزكية لعدالته وعلمه وحفظه وضبطه ، بل لقد صرحوا بذلك فى مواطن كثيرة ، حفلت بالكثير الطيب منها كتب التراجم الاصيلة كالاصابة لابن حجر ، وهى منثورة فى مواطنها من كتب السنة — من ذلك على سبيل المثال ، قول عمر رضى الله عنه : أبو هريرة ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه — وقال البخارى فيه : روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث فى عصره — ومثل ذلك قال عنـه الشافعى رحمه الله . وقال عنه أبو الزعيزع كاتب مروان بن الحكم : أرسـل مروان الى ابن هريرة فجعل يحدثه ، وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان على رأس الحول أرسل اليه فسأله وأمرنى أن أنظر فما غير حرفا عن حرف .

□ □ □

أما قول « جولد سيهر » وقد اخترع الناس هذه القصة (قصة الشملة التى لفه الرسول بها ودعا له) ليبرروا كثرة الرواية عنه ، فيكفى فى سقوطه أن يقول جولد سيهر نفسه : انه قد روى عنه أكابر أهل الاسلام . فهل كان هؤلاء الاكابر يخدعون أنفسهم عن دينهم ليستكثروا من الرواية عن أبى هريرة ؟!!

تمـــويه :

كذلك القول بأن الاحاديث المنسوبة اليه فيها مادة كثيرة لا يمكن أن تكون كلها صحيحة — بهذا الاجمال فى الحكم من غير تمييز بين ما ثبت عنه ، وما نسب اليه — ليس ذلك القول فى الحقيقة الا تمويها بالتعميم فى العبارة ، يخيل لقائليه سهولة الطعن فيما روى عن أبى هريرة من الاحاديث ، وفيمن رووا عنه من الأثبات ، وفيما خرج أهل الصحاح له وفى مقدمتهم البخارى ومسلم ، وذلك بعيد كل البعد عن النزاهة العلمية والدقة الواجبة على البـاحثين الذين يحترمون الحقيقة ويحترمون أنفسهم وقراءهم — وكان على هذين الباحثين أن يلاحظـا **ما اعترفا به على استحياء** من أن أحاديث مما نسبتها الروايات اليه **قد نحلت له فى عصر متأخر عنه** ، **واذا فليس عليه منها بأس** ، **كما لا بأس على الصحاح منهـا** ، بعـد أن انتهض علماء الحديث وجهابذة السنة ، ومازوا **السقيم من الصحيح** ، وكشفوا عن **حقيقة كل راو وما روى** ، **والتزم أئمة الصحاح** بتخريج الصحيح فقط من الاحاديث .

كما عرض العلماء لأحاديث الصحاح بعناية خاصة وكاملة ، شارحين ومبينين وجه كل حديث مما يدق معناه على غير الدارسين .

فان كان فى نظر هذين المستشرقين من مواد الصحاح ما ليس بصحيح فأيسر ما يقال فى ذلك : انهم مع أنفسهم منطقيون ، **والا فما عساك تنتظر ممن لا يؤمن بصدق نبى الاسلام** ، فضلا عن الايمان بما أوتى من خصائص ومعجزات ! **هل يؤمن بالقرآن الكريم ؟** والقرآن الكريم لدى المسلمين فى مثل ضياء الشمس نهارا والقمر بدرا ليس دونهما سحاب ، أو هو بحمد الله أضوأ .

هل تنتظر منه التصديق بأحاديث الاسراء والمعراج ، ونبع المـاء من بين أصابعه الشريفة ، واطعام الكثير بالزاد القليل ؟ أو هو يؤمن بأن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيـه فيكون طيرا باذن الله ؟ وهذا وغيره من آثار قدرة الله كثير .

الصحيحان :

اما أن يخرج الصحيحان البخارى ومسلم أحاديث كثيرة لأبى هريرة فهو أمر طبعى من شيوخ أئمـة الحديث لراو من أعظم رواة الاسـلام ، وذاك واجب الامامين الجليلين فى نقل ما صح عندهما من روايات هذا الصحابى الجليل .

والتعريض بالصحيحين بعد التعريض بأبى هريرة ، والتشكيك فيما يرويان هدف من أهداف أعداء الدين ، ودون ذلك بحمـد الله خرط القتاد ، فاذا كان أبو هريرة قد شهد له شهادة عملية من العدول كل من روى عنه ، وهم فوق الثمانمائة من الائمة الاعلام ، فقد شهد للصحيحين علماء الامة ، وتلقوهما بعد الدرس والبحث بالقبول ، وناهيك بأن يكون منتهى نقد الائمة كالدارقطنى لبعض أحاديث البخارى أنها مع صحتها لم تبلغ ما شرطه الامام البخارى فى رواية الصحاح ، ومؤداه أن بعض الاحاديث أقوى سندا من بعض وهذا أمر طبعى لا بأس فيه .

والدارس المتثبت للصحيحين قلما يجد حديثا واحدا تفرد بروايته راو واحد من أبى هريرة وسواه ليس له شاهد آخر بلفظه أو بمعناه ، ولينظر من شاء من المنصفين صنيع الامام مسلم فى صحيحه وقد عنى بجمع الاحاديث فى المعنى الواحد بأسانيدها المتعددة فى موضع واحد ، ليراه فى تحرى ألفاظ الرواة ، والتثبت منها ومن أسانيدها آية من الآيات .

حقيقـــة :

وبعد : فهذه دائرة معارف كتبها مستشرقون ليست فى الحقيقة كما قال عنها مترجموها فى مقدمة الطبعة الاولى : «نماذج فى البحث والعمق والتحقيق» ولكنها معلومات ، وبعضها وجهات نظر يعوزها التحقيق ، وبعضها أدواء هوى ، أو مطاعن من آثار تعصب مقيت ، كما اعترف الاساتذة المترجمون فى كلتا الطبعتين الاولى والثانية ، وأشرنا سابقا اليه .

واذا كان من حقنا بل من واجبنا أن نعرف ما يقوله الغرب فينا وعنا فذلك على ألا يكون مصدر علمنا بأنفسنا ، بل على أن يكون فى وضعه الصحيح موضع يقظة وحذر .

المستشرقون فى ميزان العقاد :

أما المغترون بكل ما يقوله المستشرقون ، فيقلدونهم فى **فهمهم لمعان دينية وطعنهم فى شخصيات جليلة اسلامية ، وتشكيك فى الادب العربى ، والرواة العرب ، فى كل فرع من فروع العلم ، أيا كان الرواة على حد تعبير معروف لعميد المشككين** ، فاليهم والى غيرهم نقدم هدية علمية قرأناها فى حينها منذ بضعة عشر عاما ، تبصرة لمن يفرطون فى الثقة حيث لا تتوفر موجباتها ، **فيظلمون أنفسهم وعقولهم ، قبل أن يكونوا للحق ظالمين** — يقول الاستاذ العقاد — طيب الله ثراه — فى كتابه « مطلع النور » من فصل قيم عن الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية ، وحال الادب ، وتوحد اللغة ، وتعرض المستشرقين لما لا يحسنون ، وجهالاتهم أحيانا فى البدهيات ، ويسوق نماذج طريفة عجيبة لبحوث بعض منهم ، وصفوا بأنهم من أعلامهم فيقول :

« ومنهم علامة تصدى لوضع المعجمات الكبرى فى اللغة العربية فكتب فى مادة « أخذ .. أنها تأتى بمعنى نام ، لقوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم » .. ومنهم من يترجم « أبا بكر » بأبى العذراء ، لأنه كان والد الزوجة التى بنى بها النبى صلى الله عليه وسلم وهى عذراء .. ومنهم من يقول : ان التضحية تدل على عبادة الشمس ، لأنها من الضحى .. ومنهم من يحسب أن القصيدة من القصد فيترجمها بالكلام الذى يراد معناه » .

ويستطرد فيورد الاعاجيب ، ويكشف من أمرهم ما يكفى لكشف الغشاوات عن بعض العيون والقلوب ان كان الى ذلك سبيل ، الى أن يقول من نفس الفصل تحت عنوان فرعى : **« سوء فهم وسوء نية »**

« والمعهود فى جماعة المستشرقين أن الكثيرين منهم يقرنون سوء الفهم بسوء النية ، لأنهم يخدمون سياسة المستعمرين ، أو سياسة المبشرين المحترفين وينظرون فى بحوثهم نظرة الغربى الذى ينظر الى الشرقى نظرة المتعالى عليه فى حاضره وماضيه ، غير أنهم ما عدا القليل منهم محدودون سطحيون .. »

□ □ □

وأخيرا فعلى مترجمى الدائرة ، وقد اعترفوا أنها تحوى الخطأ حينا ، والهوى حينا آخر ، وقرروا أنهم تجاوزوا الترجمة الى « التعليق على كثير من موادها بالتصحيح ، أو التكملة ، أو رد هوى ، أو درء مطعن » أن يتحروا صحة موادها تحريا كاملا ، وأن يستعينوا بالمختصين كل فى مجال اختصاصه ، وأن ينظروا بعين الاعتبار الى كل ما يوجه اليهم من نقد بناء ، حفاظا على المنهج العلمى ، ووفاء بما شرطوا على أنفسهم ، بل بما دعوا اليه ورحبوا به كل الترحيب من الملاحظات والتصويبات ولهم بعد ذلك كل التقدير .

والله ولى التوفيق .

مفاتيح الجنة

أنا عربىٌ ، ففـــى مهجتى	دماءُ الفـدى ، وصدى الثـورةِ
سأمضى إلى (الشام) القَى على	رُبَى القدسِ - فى لهفةٍ - اخوتي
من الغرب من سفحِ (أطلَسِنا)	سأَمْضِى ، فانّى على أهبـــةِ
سأمضى إليهم ! نعـــمْ إنني	حزمتُ على كاهـــلي عُدَّتى
سأَحمل من تُرْبنــــا حفنةً	يذكِّرني شـــمُّها تربـــتى
فلن أرجـــعَ العامَ أو بعـده	وكيف ؟ وقـــد بعثُهمْ مهجتي
هناك ســأرقدُ فى مضجعى	على أرضنــا ، إنها بلْدَتِـــى
أموت لأُدفَنَ في تُرْبهـــــا	(فلسطينُ) مُلْكِي بـلا مريةِ
بـلادى ، تُراثِى ، فلى أرضُها	وللعربِ ، إنهمـــوا أُمَّتى

* * * *

أحب الممـات ، أو (الرمـلة)	(ببيسان) أو (عسقلان) أخى !

للأستاذ : المدني الحمراوي

الرباط — المغرب

و (غزة) و (الأردن) المشتهى   و (سيناء) صحراءها مُنْيَتي

و (يافا) و (تل أبيب) وما   حواليْهما كُلُّها رغبتي

ومولد عيسى واخوانه   بمُنْطَلِق الوحْيِ والملةِ

ومسرًى لأحمدَ قد جاءه   وفي ركبه موكبُ الرحمةِ

بِلاد العمومة أقْضِي بها   فأرقدُ إن لم أنلْ طِلْبَتي

أحجُّ إلى (قدسها) ماشياً   لأركعَ في مسجدِ (الصخرة)

وألثم أرضاً دعا فوقها   وَصلى بها عادلُ الأمَّةِ

بقاعٌ من الطهر محبوبةٌ   لها - كالحجاز - سنا الحرمَةِ

وأرضُ النبوةِ قد دُنِّسَتْ   بِشؤم القرودِ ذوى اللعنةِ

باقدامهم أحرقت ، فالثرى   لهيبٌ تَضَرَّم في وَقْدةِ

وفي جوِّ آفاقها قد علا   دخانٌ تراكمَ من نِقْمةِ

* * * *

فهيَّا - رفيقى - إلى إخــوة ... دعونى : (تعال إلى الجنةِ) !

وهيَّا نحثُّ الخُطَــى لا تقلُ ... تَمَهَّلْ ، ولكنْ على ســرعةِ

فشوقى عظــيمٌ إلى معشرى ... سأعدو ســريعاً بلا وَقْفةِ

أخــاف إذا أبطأَتْ رحلتى ... فواتَ الشــهادةِ والعــزةِ

ســأعدو لأدركَ فى مسجدٍ ... هناك - قبيل الرَّدى - ركعتى

وأدرك من بعــدَها غارةً ... سأدخلُ منها إلى غــرفتى

فألقى بهـا الحور في فرحــةٍ ... وأرتــعُ في الخلْد فى روضةِ

ففى (القدس) فى شامه كُلِّه ... مفاتيحُ قصــرىَ في الجنة

فأَســرع معى إننــى ذاهبٌ ... وسرْ يارفيقى على خطـوتى

سنلقى هناك لنـــا إخوةً ... وأهـــلاً ، ونظفرُ بالبُغْيَةِ

ونحملُ في صفهــم - مثلَهم - ... بنـــادقَ تنطـــقُ بالحكمةِ

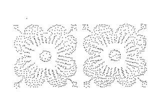
نقاتلُ ابليسَ فى كهفــــه ... ونقذف جندَه في حفـــرةِ

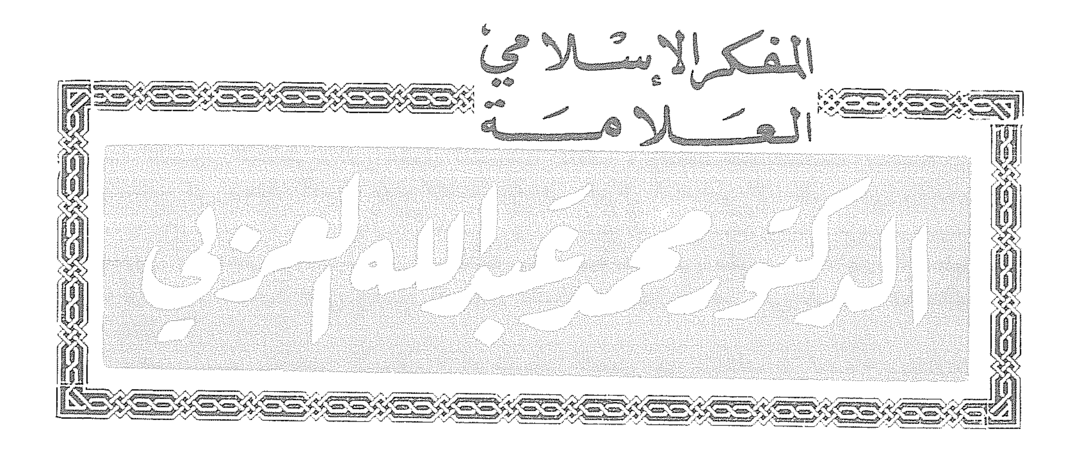
وننزع منهـــم مفاتيحَنـا ... فأَسرعْ ، وعَجِّلْ إلى الجبهةِ

إلى جنـة الخلد فى غِبْطــةٍ ... وان لم نَمتْ فإلى الرفعـــةِ

إلى كلِّ شبرٍ بأرض الهــدى ... نسيرُ عليـــه بلا كلفــــة

« فلسطين » منـا ، ونحن لهـا ... سأمضى ســريعاً إلى قبلتى





للأستاذ : أنور الجندي

من حق مجلة الوعى الاسلامى أن تنقل الى قرائها فى العالم الاسلامى كله تحية سريعة الى روح المرحوم الدكتور محمد عبد الله العربى ، فقد كان واحدا من كتابها ، وقطبا من أقطاب الفكر الاسلامى ، وعالما جليلا له نظرية كاملة فى الحياة والمجتمع مستمدة من مفهوم الاسلام ، طرحها فى عديد من مؤلفاته وأبحاثه ، وحاول بها تقديم « أيدلوجية » اسلامية للأمة العربية فى مواجهة الأيدلوجيات المختلفة .

والدكتور العربى واحد من ذلك الرعيل الذى بدأ حياته الفكرية فى الثلاثينيات من هذا القرن بعد أن أتم دراسته فى كلية الحقوق فى القاهرة ، وأحرز أرقى الشهادات من جامعتى أكسفورد بانجلترا وليون بفرنسا فى دراسات النظم الدستورية والادارية والمالية ، وعمل ى سلك الجامعة المصرية ، ومعاهد العالم العربى المختلفة ، وقد انتشرت مؤلفاته العديدة فى مجال القانون والاقتصاد ، كما عنى باعداد موسوعة ضخمة فى مبادىء علم المالية العام فى ٤ مجلدات .

وبدأت مؤلفاته تشق طريقها منذ عام ١٩٢٦ تقريبا ، ولكنها اتسمت فى السنوات العشر الأخيرة باتجاه جديد ، حيث اتصلت بالدراسات الاسلامية والعربية ، فكان من أهمها (ديمقراطية القومية العربية بين الشرق والغرب) والاقتصاد الاسلامى وسياسة الحكم ، وحرب الانسان ضد الجوع وسوء التغذية ، والملكية الخاصة وحدودها فى الاسلام ، والاقتصاد العالمى بالمقارنة الى الاقتصاد الاسلامى .

كما رأس فى السنوات الأخيرة معهد الدراسات الاسلامية ، وعمل عضوا بمجمع البحوث الاسلامية ، وساهم بقدر كبير فى الدراسات المختلفة ، حول النظم الاسلامية والنظام الاقتصادى العالمى .

وكانت دعوته الكبرى الى تصحيح الفكرة الخاطئة التى أشاعها الغرب

والاستعمار عن ربط انحطاط الأمم الاسلامية بالاستمرار فى التمسك بدينها الاسلامى ، ودحض ما حاوله كثير من المستشرقين من تشويه تعاليم الاسلام ، وعرض مفاهيمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى اطار من الجمود والركود ، حتى يصلوا الى القول بأنها لا تلائم العصر الحديث ، وحتى يتسرب هذا التصور الخاطىء الى عقول الشباب المثقف ، ولذلك فقد كانت رسالته الى الشباب فى معهد الدراسات الاسلامية هى ابراز التعاليم الاسلامية فى وضعها الصحيح ، سواء فى مجال الاقتصاد أو التنظيم أو الدولة بعيدة عن تشويهات عصور الانحلال والاستعمار ، وذلك مساهمة منه فى تكوين نواة من الباحثين تتوفر فيهم القدرة على وضع الحلول لمشكلات هذا العصر فى ضوء تعاليم الاسلام الأساسية .

وهو يرسم مفاهيم الاسلام ازاء قضايا العصر فى مختلف دراساته ومؤلفاته على نحو يدل على عمق الايمان وسلامة الأداء العقلى والعلمى ، ووفق أحدث مستويات البحث العلمى . فيقرر (أولا) أن الاسلام خاتم الديانات الالهية للبشر لم يترك جانبا من جوانب حياتهم الا وضع فيه تعاليم تناولت تنظيم الشئون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ففى ملكية المال فرض التكاليف على مالك المال التى تؤدى الى نفعه ونفع المجتمع على السواء ، وكذلك فرض على مالك المال أن يحسن استثماره لأن الاسلام يبغض الفقر ويكافحه ، وحث على أن يتبع المالك أرشد الأساليب فى استثمار ماله ، ثم فرض ضريبة الزكاة التى تؤدى الى تداول الثروة فى المجتمع ، وتخلق جوا من التراحم والمودة بين الأفراد والجماعات ، وفرض عليه ثالثا أن ينفق فى سبيل‌الله فوق الزكاة ، وفرض عليه رابعا أن يتجنب الاسراف والتقتير على السواء ، وألا يستعمل ما يملكه فى الحاق أى ضرر بالمجتمع ، وأن يمتنع عن المعاملات التى تؤدى الى تنمية ماله بطرق غير مشروعة كالغش والاحتكار والربا ، ويقول : هذه الفرائض لو قارناها بالاقتصاد الغربى لوجدنا أنها تختلف عنه اختلافا جوهريا ، ففى اقتصاد الغرب ان حق ملكية المال مطلق من كل قيد ، ولذلك يتصرف أصحاب المال فيه دون أن يراعوا مصلحة المجتمع ، ويركزون همهم فى مكاسبهم الخاصة ، فينشأ عن ذلك اشتعال البغضاء بين الطبقات المحرومة وقيامها بالثورات والاضطرابات .

هذا عن الدعامة الأولى للاقتصاد وهى دعامة المال ، أما الدعامة الثانية للاقتصاد وهى دعامة العمل ، فان الاسلام يحث على العمل والانتاج ، ويحث المسلم وهو يعمل على ابتغاء مرضاة الله والسعى الى تحقيق فلاح الدنيا والآخرة .

وعنده أن هناك بديلا اسلاميا للربا يسمى (عقد القراض) أو المضاربة ، وكان من المشغولين فى الدعوة اليه ، وتنفيذه بديلا عمليا فى المصارف الاسلامية والعربية .

ويستكمل الدكتور محمد عبد الله العربى نظرته الاقتصادية بنظرة الى الديمقراطية والقومية . فيؤكد (ثانيا) ان الاسلام على خلاف المألوف فى الكتب السماوية قد دعا الى نظام حكومى يجب التقيد به ، هذا النظام هو الديمقراطية السياسية فى أسمى أوضاعها وأصول هذا النظام هى .. أولا اختيار رئيس الدولة أو الخليفة بالمبايعة أو الانتخاب العام ، ثم تقييد هذا الخليفة فى تصريف شئون الدولة بالشورى ، ثم قرر فى عديد من الآيات ومتواتر الأحاديث تلك

المبادىء الأساسية التى على هديها انفجر بركان الثورة الفرنسية ، وثورات اخرى سابقة ولا حقة (مبادىء الحرية والاخاء والمساواة) ثم قرر الى جانب ذلك تلك الأصول الدستورية التى بدونها يكون النظام البرلمانى اسما على غير مسمى (حرية القول والرأى والنقد) .

وقد تم للانسان بمقتضى الاسلام أمران عظيمان طالما حرم منهما وهما ـ استقلال الارادة واستقلال الرأى والفكر ، وبهما كملت له انسانيته ، واستعد لأن يبلغ من السعادة ما هيأه الله له بحكم الفطرة التى فطر عليها ، وحين قرر الاسلام حرية الارادة وحرية الرأى والمساواة دعمها بثوب طهور من الاخلاق ، أسبغه على سلوك الأفراد والجماعات ، لتكون الوقاية المنيعة لهذا البنيان الديمقراطى الرفيع ، .

والأخلاق عند باحثنا الكبير هى علة العلل فى الديمقراطيات الحديثة ومصدر أزماتها الخانقة بل الداء الوبيل الذى ينخر فى هيكلها حتى لتوشك أن تنهار فقد ارتبط النظام الديمقراطى السياسى الغربى بضعف الوازع الدينى .

وأشار الى انحراف الغربيين عن تعاليم الأديان ، وانكبابهم على المادة انكبابا كليا حتى صارت فى حياة الناس غاية لا وسيلة ، وأشار الى الوسطية التى امتاز بها الاسلام ، والتى قضت بمداومة التوفيق بين الروحية والمادية القوتين الدافعتين فى حياة الانسان .

(ثالثا) ويقرر الدكتور العربى أن الفكر السياسى الغربى يرى أن الأديان السماوية ليست لها رسالة فى أمر الدولة وشئون الحكم ، فهذه من شئون الدنيا التى ينفرد البشر بتنظيمها على أساس أن ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

ولكن الاسلام وهو خاتم الأديان وهو البصير بما سوف يفضى اليه تطور الانسانية كان لا بد له أن يستكمل هداية الانسانية فى جميع شئونها فى الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات الانسانية ، ووضع الأصول التى يجب على كل مجتمع انسانى أن يسير فى نطاقها فى الجانبين على السواء ، ثم أطلق لكل مجتمع حرية البناء على هذه الأصول والتفريع والتفصيل فيما يبنيه على ضوء تطورات كل زمان ما دام ذلك فى نطاق الأصول العامة .

الاسلام يقر الهيكل المادى للدولة (كما يصوره الفكر الغربى فى عناصره الثلاثة (أرض وشعب وحكومة) لأنه يطابق الواقع المادى الذى لا يعارضه الاسلام ، ولكنه يحيط هذا الهيكل المادى باطار من روحانياته تتمثل فى الأصول التى فرضت تعاليم كلية (خلقية واقتصادية وسياسية) ثم يتميز فى أحد هذه العناصر المادية « عنصر القومية » باتجاه أوسع فى آفاقه ، وأعمق فى انسانيته مما يتخذه التصوير الغربى .

ويركز الاسلام على التعاليم الخلقية التى قوامها الايمان بوحدة الله ، فلا يعبد المسلم مع ربه أحدا ، والانسان خليفة الله فى الأرض ، وبذلك وضع كرامة الفرد على أمتن أساس ، وجعل قيامه على هذه الفضائل نتيجة منطقية لهذه الخلافة ثم لم يقتصر على هذا التوجيه الوجدانى ، بل اتجه اتجاها علميا لتحقيق هذا التوجيه ، ففرض عباداته ، وكلها تدريب فعال على تدعيم هذه الفضائل فى نفس المسلم واشعار له بالرقابة الالهية على نشاطه اليومى .

(رابعـا) أما نظرة الاسلام الى المال فالمال كله ملك لله وحده الذى لـه ملكوت السموات والأرض ، أما الانسان فى اختصاصه ببعض هذا المـال فليس الا خليفة الله فيه ، استخلفه فى الانتفاع بهذا المال ، فوجب أن ينهض بأعباء هذه الخلافة ، وهى اما تكاليف ايجابية تتمثل فى فريضة الزكاة التى حدد الاسلام نصابها أو فى فريضة الانفاق فى سبيل الله ، وهى أوسع نطاقا من فريضـة الزكاة لأنها تمتد الى الانفاق فى سبيل مصلحة المجتمع .

وفى وجوب استثمار المالك لماله اذا كان هذا المال من مصادر الانتاج ،

وقد قرر الاسلام فى شأن المال (١) كف المالك يده فى استعمال ماله فى الحاق الأذى أو الضرر بمصلحة الجماعة (٢) تحريم الربا (٣) تحريم الاحتكار اذا كان فيه اضرار بمصلحة الجماعة (٤) تحريم الاسراف والشح على السواء .

(خامسا) ويشير الباحث الى مفهوم الاسلام للتطور فيقول ان التوجيه الاسلامى فى استخدام العقل قام عـلى معايير عامة يهتدى بها فى تفصيل جميع تعاليم الاسلام الكلية أى فى كل ما يمس المجتمع الاسلامى فيما عدا الشئون التعبديـة .

هذه المعايير العامة تكفل أكبر قسط من المرونة فى التشريع ، وأوسع قدرة على مواجهة كل جديد من أحداث الحياة غير المحدودة بتطوراتها غير المتناهية ، مواجهة تظل دائما فى نطاق هذه التعاليم الكلية من هذه المعايير العامة (القياس) وما يتفرع منه ويقترن به من استحسان واستصلاح .. واستصحاب ، وسد الذرائع والعرف .

هذه المعايير العامة التى يجب الاهتداء اليها وتطبيقها تطبيقا بصيرا مستمرا لوضع التعاليم الكلية موضع التنفيذ ، وقد أقر الاسلام التعاليم الكلية ، وسمح لمجتهدى المسلمين بالنظر فى التفصيلات الجزئية ، وذلك حتى لا يقيد الأجيـال المقبلة بهذه التفصيلات والتطبيقات ، بل يتركها حرة تقتبس الوضع التى تتوافر فيه الملائمة العملية لحاجات كل زمان ومكان .

ويرى الباحث أن تعاليم الاسلام ينبعث الاذعان لها من وجدان الفرد ، قبل أن ينبعث من سلطان الدولة .

(سادسا) ويكمل الدكتور عبد الله العربى نظريته الاسلامية الشاملة الى الحياة والمجتمع بموقف الاسلام من القومية فيقول : —

ان الاسلام يتجه نحو عنصر القومية اتجاها أوسع فى أعماقه ، وأوسع فى انسانيته من التصور السائد للقومية فى الفقـه الغربى ، فتعاليم الاســلام الخلقية فى الاخاء الانسانى والمساواة بين البشر الذين خلقهم الله من نفس واحدة تأبى عليه أن يتخذ من القومية المحلية تبريرا لعدوان قوم على قوم ، وبذلك ينفى الاسلام فكرة التميز العنصرى ، واستغلال رقعة من الأرض لحساب رقعة أخرى أو استغلال طائفة من البشر لحساب طائفة أخرى ، وتعاليم الاسلام تقضى بأن الله استخلف الجنس البشرى كله فى هذه الأرض لعمارتها واستغلالها بلا تمييز فطرى بين قوم وقوم ، والقومية فى نظر الاسلام باعتبارها عنصرا من عناصر بناء الدولة هى رابطة تؤلف بين جماعة تعيش فى رقعة ذات حدود جغرافيـة متقاربة ، وليست دعوة للانعزال عن أقوام آخرين يقيمون فى رقعات أخـرى

او تناصبهم العداء ، بل هى دعوة الى التعارف والتعاون بين هـذه القوميـات المختلفـة .

((**يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم**)) .

وبذلك جعل التقوى مقياس الصلاحية للأفراد والشعوب على السـواء ، والتقوى تعبير شامل لجميع الفضائل التى تهدف لخير الفرد والمجتمع . ((**ليس لعربى على أعجمى فضل الا بالتقوى**)) .

ويصل الى القول بأن هذا التوجيه الاسلامى فى أمر القومية يفضى الى نتائج ثلاث .

(**اولا**) أن الأقليات غير الاسلامية التى تعيش فى الأوطان ترتبط من غير حرج ولا عسر كالأكثرية الاسلامية برابطـة القومية المشتركة مع الاكثريـة ، ويسوى بينها فى التمتع بالحقوق والواجبات .

(**ثانيا**) ان الاسلام ينزع من فكره القومية تلك الأنانية الطاغيـة التى من شأنها أن تخلق منافسة مدمرة بين القوميات المتباينة ، وأن تستأثر لذاتها دون سائر الأمم بخيرات الأرض ((**الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**)) .

(**ثالثا**) انه ما دام التآخى والتعاون هو فريضة الاسلام فان تآخى الشعوب الاسلامية وتعاونها فيما بينها أوجب وألزم لاتحادها فى العقيدة ومنهج الحياة .

ويرى أنه ينبغى أن تلتقى جميع القوميات تحت لواء الأخـوة الانسانيـة والأخوة العالمية ، ويقارن بين مفهوم الاسلام وبين واقع القوميات الغربية ، وما حاكته من نظريات تبرر به نضالها الدامى وكفاحها فى سبيل السيطرة على العالم ، وما اصطبغت به القوميات الغربية من أنانية زجت بها طوال العصـور الماضية فى ظروف مدمرة .

وعنده ان القومية العربية بمعناها الاسلامى تؤمن بكرامة الانسان والاخاء الانسانى ، فهى لا تناصب الأمم الأخرى العداء ، ولا تعتدى عليها ، وكذلك لا محل فى القومية العربية للأخذ بالتفرقة العنصرية ، ويشير الدكتور العربى الى (عراقة) القومية العربية ، وتمسكها بتعاليم الاسلام الذى تهتدى به فى كـل مناهج حياتها منذ أقدم العصور ، وانها من أجل ذلك لا يمكن أن تقلد تقليدا أعمى النظم السائدة فى الشرق أو فى الغرب ، لأن انظمتها الرئيسية مستمدة من المبادىء الكلية السامية التى جاء بها القرآن .

تلك محاولة سريعة لتصوير منهج الدكتور محمد عبد الله العربى فى فهمه لأيدلوجية الاسلام فى نطاق المجتمع والحياة ومن خلال مفاهيـم الاقتصـاد والسياسة والقومية ، وهى فى مجموعها تمثل فكر رائد ومصلح اسلامى ، وصل الى قمة الفهم للفكر الغربى ، واستطاع أن يقارن بينه وبين الفكر الاسـلامى كاشفا عن جوهر هذا الفكر وامتيازه وحاجة الانسانية اليه ، وهى عجالة نقدمها بمناسبة وفاة الدكتور العربى فى أول يناير ١٩٧٠ م عن اثنين وسبعين عـاما ، قدم فيها للفكر الانسانى أكثر من ثلاثين مؤلفا فى القانون والاقتصاد ، والسياسة والاجتماع .

رحمه الله رحمة واسعة ،،،،

حديث مع الشيخ الباقوري

حول قضايا الدين والفكر

أمام تاريخ طويل من التجربة والعمل المضنى على ذرى النشاطات الاسلامية كان مجلسى بجوار الاستاذ أحمد حسن الباقورى حيث كانت تنبثق كلماته بصوته القوى لتتحرك على قلمى لتصل الى هذا المكان بما فيها من قوة وأصالة وعمق وتفاؤل بالمستقبل .

والشيخ الباقورى لا يكاد يجهله أحد فى الاوساط العلمية الاسلامية والادبية فهو عضو مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ومدير معهد الدراسات الاسلامية بالمنيل بالقاهرة ، وقد شغل منصب وزير الاوقاف فى الجمهورية العربية المتحدة ومنصب مدير جامعة الازهر ، وغيرها من المناصب الكبرى فى الحقل الاسلامى ، وقد عرف برصانة أسلوبه وقوة معانيه وتأثيره الخطابى .

ولقد هممت أن ألقى سؤالى على الشيخ الا أنه بادر بأن طلب قبل كل شىء أن أسجل عنه :

« يطيب لى قبل الاجابة على أسئلتكم أن أبدأ بتقديمى أخلص المودة وأصدق الاحترام الى دولة الكويت الشقيق شعبا وحكومة وفى ذروتها العليا صاحب السمو أمير البلاد المعظم ضارعا الى الله عز وجل أن يلهم الشعب الشقيق ما ينفعه فى دينه ودنياه وأن يجنبه تربص المتربصين به من دعاة العنصرية الصهيونية وأعداء الاسلام .

وبعدها كان سؤالى :

ـ هل ترى فضيلتك أن الصراع السياسى الدائر الآن بين الشرق والغرب كان له تأثيره على الفكر الاسلامى وما مدى هذا التأثير وما مظاهره ؟

قال فضيلته :

□ كل صراع بين قوتين متقابلتين تنشأ عنه مظاهر ومشاعر وأفكار وعلوم ومعارف والذين يتأملون التاريخ الانسانى يرون على سبيل المثال أن الصليبيين حين اتصلوا بالشرق منذ أمد بعيد تأثروا بالشرقيين وتأثر الشرقيون بهم وأخذ

- لابد أن يعود الشرق العربي الاسلامي ليلتمس شخصيته من حقيقة ذاته
- من الايغال في باب الاسفاف النيل من قدر الامام محمد عبده
- أتمنى ان تنشئ جامعة الكويت كرسي الأستاذ العقاد
- لا بد للشباب من منهاج ولا بد من القدوة قبل المنهاج

اعداد الأستاذ عبد المعطى بيومي

الشرق عن المغرب الصليبى وأخذ الغرب الصليبى عن الشرق العربى الاسلامى .

ومظاهر هذا التأثير الآخذ والمعطى من الكثرة بحيث لا تنقاد لحصر ولا تخضع لبيان فلا بد أن يكون لهذا الصراع الراهن بين الشرق والغرب بمقتضى هذه القاعدة الاجتماعية الصحيحة آثار . .

اولا : يؤثر الشرق بأفكاره فى الغرب ويؤثر الغرب بأفكاره فى الشرق ويؤثر الغرب والشرق جميعا فى الذين يعيشون بين الشرق والمغرب من العرب والمسلمين .

هذا من الناحية النظرية المنطقية فأما الناحية الواقعية فلا تخفى أن الشرق مال الى الاعتدال فى السنين الاخيرة فى نظرته الى الشئون الدينية .

وكما أخذ الشرق عن الغرب هذا الاعتدال فى النظر الى حرية التدين فأطلق منها ما يتفق مع نظرته السياسية كذلك أخذ الغرب عن الشرق فنشأت فيه فيما أعلم اشتراكية الرأسمالية واشتراكية الرأسمالية فيما رأيت وسمعت وعشت فى انجلترا تقوم على تحقيق أمور منها الضمان الاجتماعى فلا يكاد يخلو عامل من عمل يكفل له العيش سواء فى ذلك البريطانيين وغير البريطانيين الذين يعيشون فى بريطانيا تدفع لهم الدولة كل أسبوع خمسة جنيهات .

ومنها التأمين الصحى فكل محتاج الى طبيب أو الى مستشفى أو الى علاج ودواء يستطيع الحصول عليه فى بريطانيا بالاشتراك فى التأمين الصحى بمبالغ فى غاية الزهد والضآلة ولا يكاد المرء يجد فرقا بين الذين يدفعون نفقات العلاج والذين لا يؤدون هذه النفقات بل ربما كان الذين لا يقومون بنفقات العلاج موضع عناية وعلاج أكثر من الذين يقومون بأداء هذه النفقات . وأغلب الظن أن هذا الاتجاه فى البلاد البريطانية متأثر الى حد قريب أو بعيد بالاتجاه الشرقى .

وكما أثر الغرب فى الشرق والشرق فى الغرب أثرا معا فى الفكر الاسلامى المعاصر فرأينا كثيرا من الدول العربية والدول الاسلامية تأخذ بمعان من الرعاية

للشعوب لم تكن تأخذ بها من قبل ورأينا من الكتاب والشعراء والخطباء وأصحاب الرأى واللسان بوجه عام من يتأثرون بالنظريات الوافدة من الشرق والغرب تأثرا أبلغ وأبعد مدى من تأثرهم بالثقافة الناشئة فى بلادهم ولعروقهم ولمذاهبهم .

ولا بد مع الزمن ومع التفاعل المستمر من أن تتضح هذه الافكار وتنتهى الى غاية تكون وسطا بين الشرق والغرب كراهية للتبعية وحرصا على تكامل الشخصية وخاصة فى منطقة الشرق العربى التى لها ماض جليل يشدها الى تميز تشعر معه أنها صاحبة فضل حضارى عريق على الشرق وعلى الغرب جميعا .

والذين يقرأون للكتاب الغربيين من أمثال الاستاذ جوستاف لوليون الفرنسى والدكتورة سيجريد هونكه المستشرقة الالمانية يرون بوضوح كيف تأثرت أوربا بكل ما فيها من شرق وغرب بالحضارة العربية الاسلامية ومن ثم يكون لهم أن يوافقونى على أن الشرق العربى الاسلامى طال الزمن أم قصر لا بد أن يلتمس شخصيته من حقيقة ذاته وتاريخه وعروقه الموغلة فى الحضارة والعلوم والمعارف رغم ما يبدو الآن على السطح من الاخذ بالنظريات الكاملة للشرق أو للغرب .

على أن الذى أدين الله عليه أن كل مذهب يهتم بالانسان فى الدنيا ويعمل على توفير السعادة له لا بد أن تكون بينه وبين الاسلام تخوم مشتركة ظاهرة يراها الناس بوضوح ، أو خفية يراها الناس بعد تأمل عميق وهذا يعنى فى رأيى أن فى الشرق خيرا لا يجوز أن نجحده جحودا وأن فى الغرب خيرا لا يجوز أن نجحده كذلك جحودا كاملا فان نحن أخذنا من الغرب بعض الخير ومن الشرق بعض الخير فاننا نأخذ بعض ما أعطيناه ومثلنا فى ذلك مع الشرق والغرب كما قال الشاعر :

كالبحر يمطره السحاب وما له فضل عليه ، لأنه من مائه

قلت : من من المفكرين المعاصرين فى نظركم كانت له تجديدات بارزة فى الفكر الاسلامى والمؤسسات الاسلامية ؟

□ من أشهر هؤلاء وأقربهم الى نفسى رجلان أحدهما من أبناء الازهر وهو الاستاذ الامام محمد عبده وهو رحمه الله مجاهد صادق بعيد النظر غيور على الاسلام والمسلمين غيرة عاملة كارمة وليست غيرة ثرثارة حاقدة كأكثر أنواع الغيرة التى نشهدها فى دنيانا الآن .

لقد كان الامام الشيخ محمد عبده وما يزال تراثه العلمى بين أيدينا يدافع عن الاسلام ويرد الشبه عنه وقد كانت تفيض حقدا عليه أقلام المستعمرين من كتاب الغرب ومطايا هؤلاء المستعمرين من كتاب الشرق ومتفلسفتهم .

ومن التنكر للحق ونبش القبور والايغال فى باب الاسفاف النيل من قدر هذا الامام الجليل الذى احتمل فى سبيل الدفاع عن الاسلام داخل بلاده وخارجها ما جهده جهدا شديدا ورماه بالامراض والاسقام فعاش أخريات حياته مجهودا مكدودا بين المشفقين عليه والشامتين فيه .

رحمه الله رحمة واسعة وهدى الذين يعرضون به وينالون منه الى سواء السبيل .

والرجل الثانى هو الاستاذ عباس محمود العقاد وهو فى تقديرى أزهرى بتخرجه على ثقافة الازهر وان لم يكن أزهريا بتخرجه فى الازهر فقد كان رحمه الله بهذه الثقافة العربية الاسلامية الاصيلة الى جانب ثقافته العربية المتينة خير لسان للعروبة والاسلام بما كتب من كتب ومقالات وأذاع من أحاديث تدفع عن العربية أوهام المبطلين وعن الاسلام شبه المغرضين .

وقد صدر عن مدرسة الاستاذ العقاد فى كتبه ومجالسه فضلاء كثيرون سوف تبرزهم الايام لتنتفع بهم أمتنا أحسن الانتفاع ان شاء الله .

واننى لأتمنى أن تنشىء جامعة الكويت فى دولة الكويت الشقيق كرسى الاستاذ العقاد فانه رحمه الله ليس ملكا لقطر ولد فيه ولكنه ملك للأمة العربية الاسلامية جمعاء .

— من الملاحظ أن الشباب الاسلامى — مثل كل الشباب المعاصر — يعانى ما يمكن أن نسميه أزمة انحراف عن القيم الدينية فما علاجكم لهذه الظاهرة ؟

□ الحقيقة أن هذه المشكلة مشكلة عالمية كما قلتم وكل المفكرين فى العالم يأسون أبلغ الاسى لما يصير اليه الشباب من الانحلال والاستهتار ، وتصورى أن هذه المشكلة على هذه الصورة تصورا عالميا يجعل من العسير على أن أجد علاجا أقتنع به حتى أقترحه على العاملين .

اننا — نحن الامة العربية الاسلامية — موصولون بالعالم كله فى كل مكان وليس فى قدرتنا أن نضرب نطاقا من حولنا أو سورا حديديا يفصلنا عن الناس فى الغرب أو فى الشرق وحتى لو استطعنا أن نقيم هذا السور الحديدى ونعتزل فان الاذاعات عن طريق الراديو والتليفزيون لا تستطيع قوة فى الدنيا أن تضع بيننا وبينها حجاب .

وكل ما أحب أن أقوله لأبناء أمتنا المسئولين منهم وغير المسئولين فى هذا المقام أن نربى شبابنا على الاعتزاز بأن لهم ماضيا مجيدا وأن نغرس فيهم الشعور بأصالتهم العريقة وأهم من هذا المنهاج فى التربية هو وجود القدوة الحسنة ، فالمنهاج وحده لا يكفى فى تربية الجيل وقد تغنى القدوة الحسنة عن المنهاج .

وأحب أن يعرف أبناء قومى أن القرآن الكريم فى يدى عمر بن الخطاب هو القرآن نفسه فى يد الحجاج بن يوسف الثقفى اذ قد نجح القرآن — وهو أبدا

ناجح — فى تقويم النفوس وتهذيب الطباع فمعظم النجاح راجع الى القدوة مع المنهاج وليس الى المنهاج وحده .

فنحن نحتاج اذن الى أمور ثلاثة فى بلادنا العربية الاسلامية :

الامر الاول : منهـــاج واضح ميسر محبب تستمد منـــه التربية للجيل الناشىء .

الامر الثانى : أن نصرف عنه بقدر ما نستطيع المجون والخلاعة والشذوذ فى السينما والتليفزيون والاذاعة والمراقص وما يتصل بهذه الامور .

الامر الثالث : أن يكون الغيارى على هذه المعانى قدوة حسنة فيما يدعون الناس اليه .

— ما هو تقييمك للأمة العربية الاسلامية والدور الذى اضطلعت ويمكن أن تضطلع به ؟

☐ أحب أن أستمع من قراء (الوعى الاسلامى) بمزيد من الوعى والانصاف لأقرر حقائق لا مناص من التسليم بها .

١ — كانت الامة العربية فى هـــذه الصحراء من قبل أمة بعيـــدة عن الحضارة بكل معانيها .

٢ — كان من حول الامة العربية فى صورتها هذه ثلاث حضارات احداها فى فارس والثانية فى أثينا والثالثة فى مصر ولا ينكر أحد أن هذه الحضـــارات الثلاث كانت ترتكز على قوى نفسية وقوى مادية كثيرة .

٣ — ان اختيار الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من هذه الامة ليبلغ الى الانسانية كلها رسالة الحق مستعينا فى أداء هذه الرسالة باللسان العربى فى كتاب الله والشعب العربى فى جندية الله لا بد أن يكون مشتملا على حكمة تدعو الى التأمل والبحث والاستقصاء..

والذى يخطر فى الذهن لأول ما يتأمل الانسان هذه الصور أن هذه الامة العربية كانت تكره الضيم وتلوذ بالانفة ويتنازل أحدهم عن حياته اتقاء للضيم والأنفة من الذل فى الجاهلية قبل الاسلام وهذه فضيلـــة قوم رسول الله حين حملهم أعباء الدعوة الى الله فمضوا لا يلوون على شىء فانتشرت بهم دعوة الحق وعم ببطولتهم نور الله الآفاق .

والذى أحب أن يتناوله الناس فى هذا الصدد من العناية ، والتأمل هو أن رذائل الامة العربية — فى أكثر مظاهرها فى الجاهلية — هى فضائل تطرفت فأصبحت رذائل ، فأما رذائل غيرها فانها موغلة فى باب الرذيلة .

وعلى هذا يكون الشعب العربى بخصائصه التى كانت فيه سواء كانت لسانية أم نفسية أم خلقية شعبا صالحا للجندية فى أداء رسالة الله الى عباده تحت قيادة محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

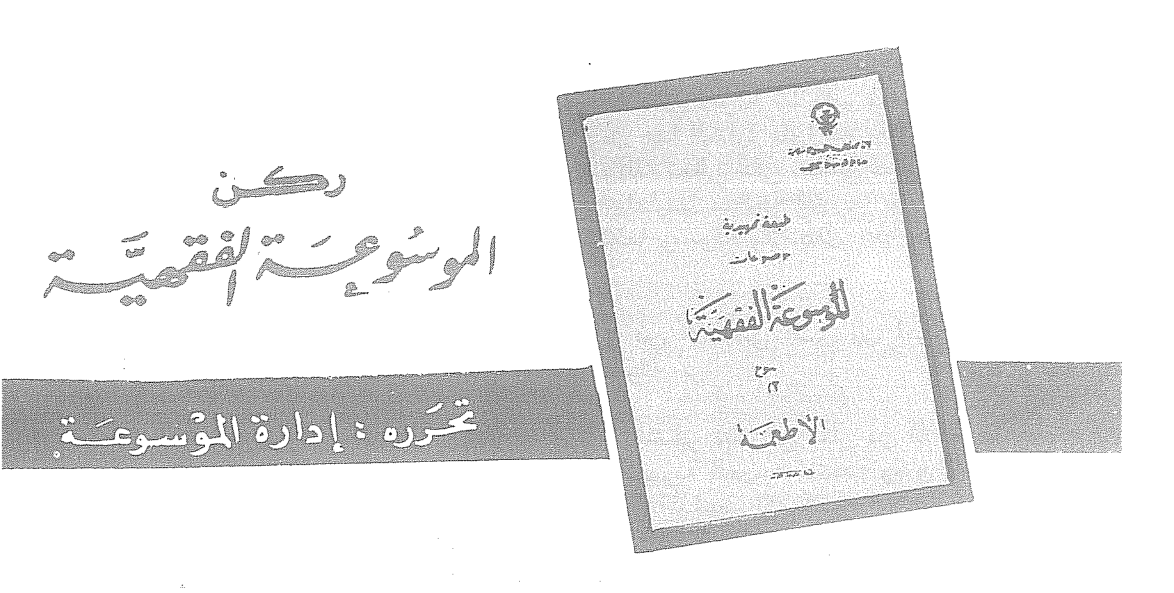
ومن هنا نقف قليلا عند قول الله تعالى فى سورة الزخرف خطابا لرسوله الكريم : (فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) فان الله تعالى جعل هذا الكتاب علوا للعرب وللمسلمين ونباهة ذكر لهم ان هم راعوا حق الله فيه والله تعالى على مقتضى حكمة لا يرفع دنيئا لشرف فلو لم تكن الامة العربية فى جاهليتها صالحة للشرف ما أنزل الله تعالى كتابه بلسانها ولا اختار من بين أبنائها رسوله ولا جعل هذا كله نباهة شأن لهم ورفعة ذكر .

ـــ هل تتكرموا باعطاء القارىء فكرة عن الاساس الذى من أجله أنشىء معهد الدراسات الاسلامية الذى توليتم ادارته .

□ معهد الدراسات الإسلامية يرجع التفكير فيه الى أكثر من ثلاثة عشر عاما مضت حين كنت وزيرا للأوقاف فى الجمهورية العربية المتحدة وكان الغرض منه ـــ ولا يزال ـــ تقريب مسافات الخلف بين المذاهب الاسلامية الفقهية ولست أعنى بالتقريب أن يتنازل الناس عن مذاهبهم ولكنى أعنى أن يذكروا دائما أن الخلاف المذهبى ينبغى أن لا تفسد به الاخوة بين الاخوة ومن حسن الحظ أن مختلف المذاهب الاسلامية يضع نصب عينيه أمورا أربعة يؤمن بها ويدين الله عليها وهى الاصول فى الاسلام .

فأهل المذاهب جميعا يؤمنون باله واحد لا شريك له يؤمنون بالله وحده لا شريك له ويؤمنون بمحمد عبد الله ورسوله ويؤمنون بالكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ويؤمنون بالكعبة قبلة للمسلمين فى الصلاة .

فهذه الاصول تكفى المسلمين ليتعارفوا ويتقاربوا ولا يتربص بعضهم ببعض ولا يعين بعضهم على بعض وخاصة اذا نظرنا فرأينا البابا فى روما يجمع مختلف المذاهب وقادتها والمنتمين اليها من الارثوذكس والكاثوليك والبروتستانت فيما يسمونه المجمع المسكونى واذ قد كان ذلك سابقا عند المسلمين معروفا عند غير المسلمين كان المسلمون أولى بهم وأقرب لأن الفرقة بينهم بالغة ما بلغت لن تكون أكثر من الفرقة فى المذاهب المسيحية ، فهذا الاتجاه الى اتجاهات كثيرة أخر من أجله أنشىء هذا المعهد ومن أجله أسأل الله تعالى أن يفتح به طريقا الى الخير يفهم به المسلمون أكثر مما فهموا حقيقة الاسلام ويفهم به غير المسلمين الاسلام فى آسيا وافريقيا ويستطيع الذين يتلقون الدراسة فيه من حملة الدرجات الجامعية . الاول أن يناهضوا الدعاية المسمومة ضد الاسلام من المبشرين الذين يعملون فى آسيا وافريقيا بين يدى الاستعمار ولا يجدون أشهى الى قلوبهم ولا أجمل فى أعينيهم من النيل من الاسلام ومن نبى الاسلام والله الموفق للخير والمعين عليه ان شاء الله .



١) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

عرضنا في العددين السابقين أهمية موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى من ناحية حاجة قضاة محكمة العدل الدولية وقضاة محاكم التحكيم الدولية الى مصدر ميسر للرجوع الى أحكام الشريعة الاسلامية .

ونبدأ بهذا العدد عرض أفق ثالث من آفاق الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على الصعيد الدولى ، وهو دراسات وبحوث المعاهد والجمعيات والمؤتمرات الخاصة بالقانون المقارن .

وسيتناول بحثنا فى هذا الصدد :

١ — دراسات القانون المقارن فى الجامعات والمعاهد ، وفى مؤلفات القانون المقارن التى تتخذ مرجعا لهذه الدراسات .

٢ — جمعيات القانون المقارن ، وما تصدره من مجلات وبحوث .

٣ — المؤتمرات الدولية للقانون المقارن ، وما تبحثه من مسائل وتتخذه من توصيات .

٤ — مراكز الاعلام القانونى ، ولا سيما بعد تزويدها بالادمغة الالكترونية التى تغذى بالمعلومات ثم توزعها حسب الطلب على الباحثين .

□□

ونبدأ بالناحية الاولى :

أصبحت دراسة القانون المقارن جزءا أساسيا من برامج كليات الحقوق فى القارتين الاوروبية والامريكية ، حتى لا تكاد تخلو كلية للحقوق من كرسى لدراسة القانون المقارن .

وقد بدأ هذا الاهتمام فى جامعة أكسفورد سنة ١٨٦٩ ، أما فى الجامعات الاوربية فقد بدأ قبل ذلك بمدة طويلة ..

والى جانب دراسة القانون المقارن وادخاله فى مواد البرامج العامة فى كليات الحقوق ، تقوم فى عشرات الجامعات معاهد مخصصة للقانون المقارن على مستوى الدراسة الجامعية ، ومستوى الدراسات العليا بعد الجامعية . بل هناك جامعات بأكملها متخصصة فى الدراسات المقارنة كالجامعة الحرة للدراسات المقارنة فى اللوكسمبورج .

هذا وقد أنشىء عام ١٩٢٨ معهد توحيد القانون الخاص فى روما ، واعتبر مؤسسة قانونية ملحقة بعصبة الامم ، كما أنشىء المجمع الدولى (الاكاديمية الدولية) للقانون المقارن فى لاهاى .. والمؤسستان الاخيرتان ليستا معاهد تدريسية بل معاهد بحوث .

ورغم اكتظاظ برامج كليات الحقوق بالمواد الاخرى المنافسة لدراسة القانون المقارن ، ورغم الصعوبة اللغوية فى الرجوع الى المراجع القانونية بلغاتها الاصلية ، بل ورغم صعوبة تكوين مكتبات مخصصة للقانون المقارن لمعاونة الباحثين ، نقول رغم كل هذه الصعوبات ، قد شقت دراسة القانون المقارن طريقها للحاجة الملحة اليها على الصعيدين العلمى والعملى (سياسيا واقتصاديا) وتبلورت هذه الحاجات العملية فى السعى الى توحيد بعض قواعد القانون الخاص (الخاصة بالشيكات والسندات ووثائق الشحن) وبعض قواعد القانون الدولى الخاص .. ودخلت دراسات القانون المقارن فى مرحلة هامة بظهور فكرة الوحدة الاوربية وما تقتضيه من توحيد بعض أحكام القوانين فى هذه البلاد ..

واذا كان الاتجاه الصحيح فى تدريس القانون المقارن بالجامعات ، يبدأ من تكوين الملكة القانونية لدى الطالب بتوسيع نظرته لتتجاوز حدود قانونه الاقليمى الى المقارنة بقوانين الدول الاخرى ، وكان هذا الاتجاه — ولا سيما فى المراحل الجامعية الاولى — لا يقتضى أكثر من جولات سريعة بين المبادىء الهامة فى بعض النظم القانونية الكبرى ، فان ذلك يستتبع فى مراحل أخرى التعرض لبعض التفصيلات ، كما يظهر بوضوح فى الدراسات العليا بعد الجامعية وما تستتبعه عادة من « قاعات بحث » وبحوث على مستوى « الدكتوراه » .

وهكذا تنتقل الدراسة من « المنهج المقارن لدراسة القانون » الى تطبيق هذا المنهج بالفعل باجراء المقارنات بين النظم القانونية الكبرى فى مسائل معينة بالذات .

لذلك نرى الكتب الجامعية التى تمثل مناهج الدراسة المقارنة للقانون ، تشتمل على الاصول العامة والمنهج المقارن ، كما تشتمل على عرض موجز للنظم القانونية الرئيسية فى العالم يوضح المعالم الرئيسية ، ويشير الى المراجع لمن أراد الاستزادة فى تفاصيل هذه النظم .

وكذا تعرض الكتب التطبيقية للقانون المقارن ، التى تتناول مسألة معينة بالدراسة المقارنة ، رأى مختلف النظم القانونية العالمية الكبرى فى هذه المسألة .

ولنأخذ على سبيل المثال كتابين شهيرين فى القانون المقارن :

أحدهما عرض مبدئى للقانون المدنى المقارن ، لمؤلفه الفرنسى الاستاذ رينيه دافيد ، فقد تناول هذا الكتاب فى قسمه الاول : أهمية دراسة القانون المقارن ، وفى قسمه الثانى : نظم القانون المعاصرة (الفرنسى والانجلو امريكى والسوفيتى

والاسلامي والهندى والصيني) وفى قسمه الثالث : معلومات ذات أهمية عملية فى دراسة القانون المقارن . وقد حظيت الشريعة الاسلامية من هذا المؤلف بثمان وعشرين صفحة مليئة بما يحتاج الى الرد والتعليق مما لا مجال له الآن ، وقد نعود اليه فيما بعد .

أما الكتاب الثاني فمطول فى ثلاثة مجلدات لمؤلفين ثلاثة ، هم : بيير أرمنجون ، وبارون بوريس نولده ، ومارتن وولف . وقد عرض فى قسم أول : مبادىء القانون المقارن ، ثم فى قسم ثان : العناصر المشتركة فى النظم القانونية الحديثة ، ثم فى أقسام تالية تناول بالبحث كلا من القوانين الفرنسية والالمانية والاسكندينافية والانجليزية والسوفيتية والاسلامية والهندية .

وقد حظيت الشريعة الاسلامية من هذا المؤلف بمائة وخمسة وثلاثين صفحة جديرة كذلك بالدرس والتعليق .

وقد ضربنا هذين المثالين لتوضيح أهمية دراسة الشريعة الاسلامية فى مناهج القانون المقارن بجامعات العالم ليتبين مدى الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامي فى هذا الصدد ، اذ أن أساتذة القانون المقارن في بلاد العالم المختلفة (بله طلاب القانون الذين يحتاجون الى مراجع للاستزادة من العلم بالشريعة الاسلامية) لا يجدون أمامهم لمعرفة أحكام الشريعة سوى ما كتبه المستشرقون (وكثير منهم مغرضون دساسون أو جاهلون) ، أو ما ترجم من المتون والمختصرات — وهذا نزر قليل — ككتاب خليل فى الفقه المالكى ومجلة الاحكام العدلية فى الفقه الحنفي وغيرهما .

ان موسوعة الفقه الاسلامى بعد تمام تحريرها وترجمتها الى اللغات العالمية ، ستكون بلا شك المرجع الرئيسى لكل من يريد معرفة أحكام الشريعة بمذاهبها المختلفة ، بصورة ميسرة وأسلوب علمى مقارن ..

وفى العدد القادم ، نعرض لباقى صور الاهتمام بالشريعة الاسلامية ضمن بحوث القانون المقارن ومؤتمراته الدولية .

□□

ب) من يريد الموسوعة ؟

جاء الى ادارة الموسوعة من الاستاذ السيد وهيب دياب من دمشق ملاحظة حول موضـــوع الاشربة (الذى هو أول موضوع صدر فى الطبعـــة التمهيدية لموضوعات الموسوعة) حول الخبر الذى نقل فى موضوع « الاشربة » عن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه من أنه « روى عنه أنه أضاف قوما فسقاهم ، فسكر بعضهم ، فضربه الحد ، فقال الرجل : تسقيني ثم تحدني ؟ فقال على : انما أحدك للسكر » . (موضوع : الاشربة ص ٣٧) فنبهنا الاستاذ وهيب الى أن ابن قتيبة فى كتابه (الأشربة) قد عزا الحادثة الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وقد روجعت ادارة الموسوعة شفهيا أيضا بانتقاد ايراد هـــذا الخبر فى موضوع الاشربة وقال المنتقدون : كيف يجوز ايراد هذا الخبر فى الموسوعة مع

أن نسبته الى سيدنا على ظاهرة الكذب ، اذ يستحيل عليــه أن يسقى أحدا خمرا .

ودفعا للأوهام نجيب على هذا الانتقاد بالايضاحات التالية :

١ ـــ ان الخبر المنقول فى الموسوعة الفقهية ليس فيه ان ما سقاهم اياه كان خمرا ، فقد جاء فيه أنه : « سقاهم » ولم يذكر فيه ماذا سقاهم . ولا يمكن أن يفهم أحد من أهل العلم أن عليا رضى الله عنه سقاهم خمرا ، فمن يتوهم ذلك هو المخطىء فى الفهم .

والواضح ـــ ولا سيما من سياق الكلام واستدلال من استدلوا به ـــ أنه سقاهم مشروبا مباحا من الانبذة غير المسكرة وقد أوضحنا فى عدة أماكن من موضوع الاشربة (ص ٣٤ حاشية رقم ٢) ان النبيذ بمعناه القديم هو ما ينبذ ، أى يطرح من الزبيب أو التمر ونحوهما فى ماء حتى يحلو فيشرب ، وهو غير النبيذ بمعناه المتعارف فى عصرنا هذا فان النبيــذ فى عصرنا اليوم هو الخمر الاصلية نفسها التى جاء الاسلام بتحريمها . أما معناه فى القديم فهو غير ذلك والشواهد على هذا فى النصوص كثيرة ، وقد نقلنا قبيل ذلك (ص ٣٥) عن عائشة رضى الله عنها أنهم كانوا ينبذون للرسول عليه الصلاة والسلام قبضة من تمر وقبضة من زبيب فى الغدوة فيشربه عشية ، أو ينبذون له عشية فيشربه غدوة .

ونقلنا أيضا قبل خبر على مباشرة عن عمر رضى الله عنهما أنه كان يشرب النبيذ الشديد الحلاوة الذى لا يسكر . وقلنا : « اما ما يسكر فقد حرموه » ذلك لأن النبيذ المذكور اذا طال مكثه يبدأ فيه التخمر فيصبح مسكرا بدرجة تختلف بحسب مدة المكث ومقدار المادة الحلوة . وقد قدر الحنابلة طول المدة التى يحرم بعدها النبيذ بثلاثة أيام بلياليها ، لاحتمال افضائه بعد ذلك الى الاسكار (الاشربة ص ٤٥) كل هذا موضح قبل الخبر المذكور وبعده . ومنه يتضح أنه لا مجال للتوهم بأنه ما سقاه على ـــ لو صح الخبر ـــ كان خمرا كما توهم بعض القراء بل هو نبيذ بمعناه القديم المشروح .

وأما السكر الذى اعترى أحد من سقاهم فانه لا يدل على أن النبيذ كان مسكرا ، بدليل أن الآخرين لم يسكروا ، وانما يدل على أن ذلك الرجل كان لديه فرط حساسية تجعله يتأثر هو خاصة ببعض الاشياء التى ليست فى ذاتها مؤثرة . وعندئذ كان عليه أن يمتنع عما يضره ويؤثر فيه ، فلذلك ضربه الحد . وهذا يدل على صلابة سيدنا على رضى الله عنه فى اقامة أحكام الشرع على من يتهاون فى اجتناب ما يجب عليه اجتنابه ولو كان ضعيفا . كل هذا لو فرض الخبر ثابتا .

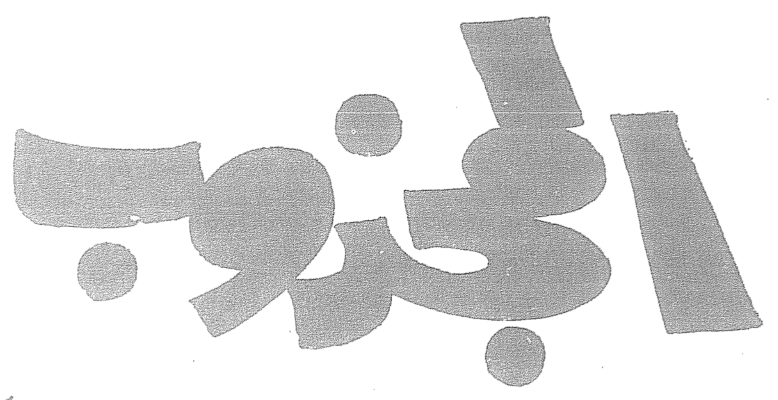
٢ ـــ على أننا نقلنا فى الحاشية (ص ٣٧ ح ١) عن مراجع أخرى أن هذا الخبر لا يصح عن على رضى الله عنه لأن فى سنده مدلسا وضعيفا . فضعف الخبر أو عدم صحته منقول معه فما وجه الانتقاد على الموسوعة عندئذ بأنه خبر غير صحيح ؟

والموسوعة تنقل فيها الادلة وردودها بكل أمانة فيما تنقل من اختــلاف

البقية ص ٨٥

قصّة تاريخيّة قصيرة





للدكتور: نجيب الكيلاني

« هذا هو »

تمتم (فرط الرمان) فى ضيق بالغ ، وأوشك أن ينقض على الرجل المجهول بسيفه الذى يتدلى الى جواره ، وهو على صهوة حصانه ، ان (فرط الرمان) كما يسميه العامة، أو (برتلمى) الرومى أشهر من نار على علم ، القاهرة كلها تعرفه ، رجال الحملة الفرنسية يكنون له الاحترام ، ويغدقون عليه المنح والاوسمة ، هذا هو حاله بعد أن تحول من بائع للقوارير ، أو مملوك تافه ، الى عميل ذى شأن كبير .. وأصبح من جلاس نابليون وكليبر ، ومينو ، كما أصبح يصدر الأوامر لكبار الشيوخ أمثال المهدى والسادات والشرقاوى وغيرهم ..

ونظر (فرط الرمان) الى الرجل المجهول متفحصا ، الرجل يقف فى ملابسه الرثة وسحنته الجامدة وكأنه لا يعنيه شىء ، تلك هى المرة الخامسة التى يراه فيها ، ان لهذا الرجل المجهول نظرات مخيفة ، صامتة ، تنطق بآلاف العبارات ، نظرات يخفق لها قلب (فرط الرمان) ، بل يخاف منها ، على الرغم من أنه فى عنفوان سطوته وجبروته ، فهو جلاد القاهرة الاشهر ، والذى يبث اسمه الذعر فى القلوب ..

ترجل (برتلمى) — فرط الرمان — من فوق جواده ، ومضى صوب الرجل، تحيط به كوكبة من رجال العسس ثم أمسك بطوق الرجل فى عنف ، وهدر :

— (من انت ؟ ؟)

لم ينطق الرجل بكلمة واحدة ، ظل صامتا ، يرشقه بنظراته الحادة التى تحمل آلاف المعانى ، راسخا فى مكانه كالجبل ، فاستشاط (برتلمى) الرومى غضبا ، وصرخ :

« تكلم ، والا حطمت جمجمتك .. من انت ؟؟ » .

قال الرجل بصوت لا يختلج ، وكأن

المجـذوب

صوته يتردد فى أروقة قاعة ضخمة ، وكان لنبراته صدى يفوح برائحـــة القـدم والخلـود :
— ((أنا رجل على الله ..)) .
زمجر فرط الرمان :
— ((ما اسمك ؟؟)) .
— ((عبد الله))

— ((من أية أسرة في القاهرة ؟؟))
— ((ليس لى أسرة .. الجميـع أهلى))
همس فرط الرمان بصوت كالفحيح:
— ((شريد ؟؟)) .
— ((لا .. فأنا أعـرف نفسى ، وأعرف طريقى)) .
— ((ومن أين تحصل على رزقك ؟))
— ((وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ..)) .
لم يطق برتلمى صبرا ، رفع يده الغليظة ، وهوى بها على وجه الرجل فى حنق ، لم يتزحزح الرجل من مكانه وان احتقن وجهه ، بقى كصـخرة عاتية ازدادت نظراته اشتعالا ، ثم — بعد لحظة صمت — قال :
— ((العقاب يتبع الجريمة .. وأنا لم أجرم ..)) .

وانهالت لكمات الرجال وركلاتهم ، حينما رأوا سيدهم (برتلمى) يفتح الطريق أمامهم لاهدار كرامة انسان برىء ، ثم صاح (برتلمى) بهم كى يكفوا عن الضرب ، وأمرهم بتفتيش الرجل تفتيشا دقيقا ، لعـل معه سلاحا ، أو ربما يخفى فى طيـات ثيابه الرثة أوراقا ، لكنهم لم يجدوا معه شـيئا ، ووقف برتلمى يلهث اعياءلا من أجل مجهود بذله ، ولكن من شدة الانفعال الغامض الغريب ، وعـاد ينظر الى الرجل المجهول ، فوجده يبتسم .
صاح برتلمى :
— ((لم تبتسم ؟؟)) .

— ((الآن حبيبى قال لى : املأ قلبك بالنور ، وارو ظمأك باليقين ، وعطر أحلامك بالمحبـة ، تنبثق فى روحك سعادة لا تموت ..)) .

قال أحد الأتباع :
— ((يبدو يا سـيدى أنـه أحـد المجاذيب ..)) .

وما أن سمع الرجل المجهول ذلك حتى أخذ يتطوح يمنة ويسرة ، وقد تبللت أهدابه بالدموع وينشد :
يا راحلين الى (منى) بقيادى

شوقتمو يوم الرحيل فـؤادى
سرتم ، وسار دليلكم يا وحشتى !

الحب أرقـنى وصوت الحادى
فاذا وصـلتم سالمين فبلغـوا
منى السلام الى النبى الهادى

كان صوته نديا رقراقا ، تخالطه الدموع ، ويوشيه الحنين ، وانطلق برتلمى فجأة يقهقه بصوت عـال ، وأخذ رجاله من حولـه يقهقهون ، والتأم من حولهم عدد كبير من المارة عند (الأزبكية) ، فصاح بهم الجلاد كى يتفرقوا ، وأعمل رجاله فيهـم السياط حتى انفضوا ، ثم عاد الى الرجل المجهول وقال :
— ((أنت تعـرف مـن يكـون (برتلمى))) .

— ((ليس لى أخ بهذا الاسم ..))
صاح فى انفعـال :
— ((انه أنا .. الجميع يعرفون من أنـا)) .
— ((لكنى لا أعرف ..)) .
— ((فلماذا ترمى بنفسك أمامى

من آن لآخر ؟ » .

ــ « هو الذى يرمينى .. » .

ــ « مـــن ؟؟ » .

ــ « حبيبى .. » وأخذ ينشد : يامن يرانى ولا أراه » ..

فقاطعه برتلمى قائـــلا :

ــ لئن رأيتك فى وجهى مرة ثانية لأمزقن جسدك اربا اربا .. » .

وأسرع برتلمى الى جواده وانطلق، ومن خلفه شرذمته ، فى شـــوارع القاهرة التى يلفها الصمت والترقب والحزن ، بعد المعارك الدامية التى خاضتها جماهير الأمة ضـــد رجال الحملة الفرنســـية ابان الثورات المتـــلاحقة ..

وفى المساء كـــان (برتلمى) فى ســـجن القلعة الكبير ، حيث تكتظ الزنازين بزعماء الثورة من رجـــالات الأزهر والتجار ، وقليل من المماليك والأتراك ، كانت القلعة هى المكان المختار (لبرتلمى) ، فيها يشعر أنه نصف اله ، يأتى اليه السجـــانون بالرجال المقيدين ، فيستجوبهـــم ، ويتسلى باهانتهم وتعذيبهم ، وقـــد يقتل البعض منهم ، ويضعهم فـــى أجولة ، ثم يقذف بهم فى أعماق النيل الهادر ، أو يقطع رقاب البعض ، ويعلقها على قارعة الطريق ، أو فى الميادين العامة ، حتى يبذر الرعب فى القلوب ، ويخمد اشتعال الثورة .

وتذكر برتلمى فى تلك الليلة ، ذلك الشخص المجهول ، وأخذ يتحدث عنه من جديد أمام ضباطه وحراسه فى اهتمـــام عجيب ، وهـــم يدارون سخريتهم ، ويندهشون لهذه الخرافة التى لا معنى لها ..

وحانت من برتلمى التفاتة مباغتة ، فرأى على ضوء المصابيح الزيتيـــة ، رجلا يحمل على ظهره قربة ممتلئـــة بالماء ، وصرخ كمن لدغته حية :

ــ « أنه هو .. » .

شحب وجهه ، ثم جـــرى مسرعا اليه ، وحوله الرجال ، فوجد (سقاء) عجوزا لا يمت بأدنى صلة الى الرجل الذى يتحدث عنه ، وتمتم فى شىء من الخجـــل :

ــ « ان نظراته تشبه نظرات ذلك المجهول الى حد كبير .. انها النظرات التى لا تنطفىء أبدا حتى فى محاجر الذين يموتون أمامى .. أجل يموتون مفتوحى العينين .. والنظرات الحاقدة تظل تتحدانى .. لكم تمنيت أن أفقأ عيون هؤلاء الناس جميعا .. » .

قال رفيق :

ــ « يبدو انك يا برتلمى قد أكثرت من شرب الخمر .. ثم انك لم تعـــد تنام نوما كافيا .. » .

الأنين ينبعث فى أروقة الســـجن الكبير ، وشتائم الجلادين المقذعـــة تثير ضجيجا كبيرا ، والظلام يحيط بالأضواء الخافتة ، يكـــاد يخنقها ، وبرتلمى يتمايل فـــى نشوة كاذبة ، يضحك والدموع فى عينيه ، وخيالات كثيرة متناقضة تعشش فى رأسه ، ويغمغم :

ــ « القوة وحدهـــا هى قانون الحياة .. هى التى تملك التغيير .. أستطيع بسوطى أن أحيـــل أشجع الشجعان الى جبان رعديد ، يصرخ ويستغيث كامرأة .. ومن يستعصى على أقطع رقبته .. أنهى كل تمرد فيه .. القوة لا حد لتأثيرها .. وأنا أملكها .. أيها الأصدقاء .. التفكير الطويل مضيعة للوقت .. الرحمـــة خوف .. لا شىء سوى أن تنفـــذ ما تريد بسرعة .. عدونا الوحيد هو التردد .. لكن ذلـــك الرجل المجهول تزعجنى نظراته .. لست أدرى لماذا لم أقتله على الفور ؟؟ انه مثير ..

غامض .. غريب .. لكم تمنيت أن أشق قلبه بخنجرى لأرى ما بداخله .»

وقدم رجل يلهث ، والعرق يتقاطر على جبينه .. ووقف أمام (برتلمى) وقـــال :

ـ « سيدى .. الثورة انــدلعت فى (حى بولاق) .

حاول برتلمى أن يفيق من سكره ، حك جبهته ، وتمتم :

ـ (بولاق ...) .

ـ « أجل يا سيدى .. وضعوا المتاريس .. هاجموا مجموعة كبيرة من رجالنا .. دمروا عددا من نقط الحراسة .. انها شىء له خطره .»

ـ « كيف يجرؤون على ذلك ؟؟» .

ـ طائفة من رجال الأزهر ، يتبعهم جمهرة من التجار ، وكل شعب بولاق»

هز برتلمى رأسه ، وقال :

ـ « لا شك أن الشــيخ السادات على رأسهم .. » .

صمت الرجل برهة .. ثم قال :

ـ « القائد .. هو ذلك الرجل .»

ـ « ... مـــن ؟؟ » .

ـ « ذلك الذى صفعته صباح اليوم .. وأشبعناه ضربــــا .. انه ليس « مجذوبا .. » انه الحاج (مصطفى البشتيلى) ... صــــديق الشيخ السادات .. » .

هب برتلمى واقفا ، كل عضلـــة كانت تختلج فى جسده ، قلبه يخفق بشدة ، النظرات الحديدية العنيدة ، التى تصرخ بالحقد والكراهية تنتصب فى ذاكرته كالقضاء النافذ ، رائحـــة الدم والحريق والاشـــلاء تعود الى أنفه .

ورنت فى أذنه بقية كلمات رجـــل العسس الذى حمل اليه الأنباء :

ـ « حكمدار العاصمـــة الفرنسى يطلبك .. الأمر أخطر مما نتصور ..»

وابتسم سجين مربوط فى أعمدة خشبية ووقعت عينا (برتلمى) عليه فجأة ، فجن جنونه ، فأقترب منه ، وداعبه بابتسامة شاحبة وقال :

ـ « لم تبتسم ؟؟ » .

ـ « أنا مظلوم .. » .

قال برتلمى بهدوء غريب ، وهو يهم بالانصراف :

ـ « أما وقـــد ثبتت ادانتـــك باعترافك .. »

قاطعه السجين قائلا :

ـ « لم أعترف بشىء .. »

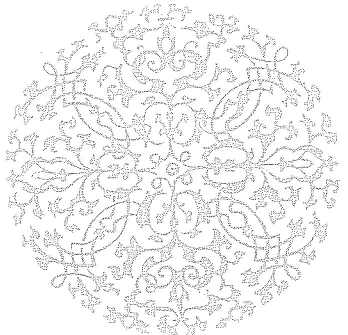
هدر برتلمى :

ـ « ابتسامتك اعتراف صريح .»

وتوجه بالحديث الى رجاله :

ـ « اقطعوا رأسه .. وعلقوها على باب الأزهر .. لن أتيح فرصـــة لمجذوب آخر كى يشعل ثورة .. » .

وهتف السجين فى استســلام : « نحن لا نموت .. والشهداء عنـــد ربهم أحياء .. يرزقون » ..



الاجتهادات . وهذا يوفر لها القيمة العلمية والثقة ، فاذا تصرفت من عندها تلخيصا وحذفا بما لا يتفق والامانة العلمية فقدت هذه القيمة .

٣ ــ والخبر المذكور لم تنقله الموسوعة عن كتب التاريخ أو الادب . بل عن كتب كبار أئمة الحديث ، فقد بينا فى الحاشية أنه أخرجه الدارقطنى وابن أبى شيبة عن الشعبى ، كما نقلنا تضعيفه والطعن فى صحته .

٤ ــ وأما كون الخبر المذكور قد نسبه ابن قتيبة فى كتابه « الاشربة » الى عمر رضى الله عنه ، فاننا قد بينا فى الحاشية أن منهم من رواه عن عمر ومنهم من رواه عن على رضى الله عنهما .

ومما أوضحنا يتبين أنه لا محل للغط والاستغراب فى نقل هذا الخبر . وعلى غرض أن نقله لم يكن مناسبا فان الطبعة التمهيدية لموضوعات الموسوعة قد جعلت لتلقى الملاحظات وتصحيح أو تعديل ما ينبغى تصحيحه أو تعديله قبل الطبعة النهائية حيث يفوت امكان التدارك والعصمة لله وحده سبحانه .

بريد الوعي الإسلامي

حول تحضير الارواح

موضوع امكان تحضير الارواح هو حديث الناس فى الكويت فى هذه الايام منهم المصدق ومنهم المكذب ، وقرأنا أن للسيد الدكتور عثمان خليل تجربة طويلة فى هذا الموضوع ، فهل يمكن أن تفيدونا برأيه مبسطا فى هذا الموضوع .

أحلنا هذه الرسالة على السيد الدكتور ، فتفضل بالاجابة التالية :

تجربتى فى الروحية — وهى موضوع السؤال — تتلخص فى الآتى :

١ — اتصلت بالدراسات والتجارب الروحية منذ حوالى ربع قرن ، وتجاوبت مع التربية الدينية التى كان لى نصيب منها منذ طفولتى أو صباى ، واطمأن يقينى الى أن البحث فى هذا المجال ليس جائزا شرعا فحسب ، بل انه محثوث عليه توكيدا للايمان بخلود الروح ، وتفكرا فى آيات الله ، واستزادة من علم الله ، وتعبدا قلبيا عميقا فى عصر طغت فيه المادية واستشرى الالحاد .

٢ — هالنى ما اطلعت عليه (مباشرة أو نقلا) من بحوث ومؤلفات وصحف وهيئات ومؤتمرات دولية خاصة بالدراسات الروحية فى الخارج ، وما خضعت له هذه الجهود — فى مختلف دول العالم — من تدقيق واختبار خلال القرنين الاخيرين على وجه الخصوص ، وقد أسفر كل ذلك عن تراث علمى ضخم فى هذا المضمار تتزعمه أعداد لا يكاد يدركها الحصر من العلماء المبرزين فى العلم والمكانة الاجتماعية فأحسست أننا — ونحن موطن الرسالات والمعانى الروحية فى العالم — أولى بذلك الامر ، ووجدت ضالتى فى جمعية بالقاهرة يعبر اسمها ذاته عن ضالتى وهى ((الجمعية الاسلامية الروحية)) ورائدها مستشار سابق بادارة قضايا الحكومة هو الاستاذ رافع محمد رافع ، الرائد الصوفى الشاذلى كذلك ، فلازمته ، وازدادت قراءاتى الاسلامية عن الروح (لابن القيم وغيره) ، وعن الصوفية ومناقبها .

٣ — عندما حضرت الكويت سنة ١٩٦٢ اتصلت بشخص ذى صلة بجماعة القاهرة المذكورة (هو الاستاذ محمود حورانى) ولم تكن قد بدت عليه أمارات الوساطة الروحية بعد ، ولكن أخبرنا وسيط آخر (هو المهندس منير الاعور) بمستقبل الاخ محمود الوساطى ، وبعد قرابة سنة أو أكثر بدأت فعلا وساطته فى صورة غيبوبة كاملة (١٠٠ ٪) وبافاضة فى الاحاديث الدينية تذهل السامع فى ذاتها ، وفى صدورها عن حالة ((لا وعى)) وعن شخص لا يعرف — فى حالة وعيه — قليلا مما يفضى به فى حالة الغيبوبة ، فتضاعف تعلقى وزملائى بهذا الاتصال الروحى المبارك فى الله .

٤ — ظللنا سنين نتعبد الله على هذا النحو فى شبه خلوة (بحجرة تامة

الاظلام ، وبخلوص من مشاغل الدنيا ، وعدم التفكير الا فى الله مع ترديد اسمه تعالى قلبيا وبدون صوت مسموع) . ولم يكن يخطر ببالنا أن يقتحم علينا هذه الخلوة الاسبوعية ــ ولمدة ساعة ــ أحد غير القليلين من المؤمنين بالروحية من أصدقائنا الخلصاء ، ثم اتسعت الدائرة بتزايد الراغبين من هؤلاء ، ثم تسرب الموضوع الى الصحافة وأخذ حيزا كبيرا من اهتمام الراغبين فى تلمس أسباب القرب الى الله ، أو فى التعرف على أسرار الاتصال الروحى الذى ملأت مؤلفاته حيزا كبيرا فى مكتبات العالم ، وبدأت تأخذ مكانا يذكر فى مكتبات العالم العربى وعلى أيدى علماء أفاضل .

٥ ــ تبدأ جلساتنا بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، فقراءة الفاتحة مرة ، فالآية (٣٥) من سورة النور ((الله نور السموات والارض)) (الاية) فسورة الاخلاص ثلاثا ، فالفاتحة مرة أخرى ، ويبدأ الوسيط معنا القراءة ثم نفتقده تدريجيا خلالها ، حيث تبدأ غيبوبته شيئا فشيئا . وبعد انتهاء تلك التلاوة بدقيقة أو دقائق معدودة يبدأ الوسيط بالقاء السلام بصوت خافت ، وببعض عبارات التحية ، ثم يتدرج صوته فى الارتفاع حتى يصبح أحيانا كالخطيب المتدفق من فوق منبر ، ولا يعيد كلمة أو يتلعثم فى جملة ، بل كأنه شريط مسجل ، ويبدأ عادة بسؤالنا عما نريد أن يحدثنا فيه من الامور الدينية التى تنفع الناس ، متباعدا عن الامور الفردية أو الخاصة التى تشغل العوالم غير المدركة (ويقصد بها الجن خاصة ، والارواح الشاردة التى لم تبلغ رقيا فى الله) . وعادة نفوض الرأى للروح الزائر أول الجلسة ليحدثنا فيما يتفضل به ، وبعد هذا الحديث يسأل الروح الحاضرين ، فيسألون بما يريدون ، ويجيب على الفور على أسئلتهم ، وكل هذه الاحاديث ــ الا النادر ــ قد حرصنا على تسجيلها على أشرطة محفوظة لدينا ونطبعها فى عدد محدود من النسخ بقدر الحاضرين المهتمين بالقراءة بعد السماع .

وفى نهاية الجلسة يؤذننا الروح الزائر بذلك ، ويحيينا منصرفا ((على بركة من الله ورسوله)) فنقرأ الفاتحة ثلاثا ، مسك الختام .

٦ ــ مثل هذه الجلسات لا يقدر نوعية الارواح المتحدثة فيها ، ولا مستواها فى جانب الله ، الا من يحضرها ويعيها ، وهو بعد ذلك الذى يستطيع بعقله وقلبه ــ وبالممارسة كذلك ــ أن يقطع بكون الارواح الزائرة أرواح بررة ، أم أرواح جن ، أم جنا حيا كما يحصل لدى كثير من الناس فيزيد بعضهم بعضا رهقا .

٧ ــ حسب تجربتى للآن ، تأبى الارواح الراقية فى الله الكشف عن أسمائها لأنها فنيت فيه تعالى ومسحت بجانبه عن ((أناتها)) كالجدول الصغير عندما يصب فى المحيط الكبير فيفنى فيه ، كما يأبى العارفون بهذا المستوى الربانى لهذا الاتصال الروحى أن ينزلوا به الى مستوى الاسئلة الصبيانية التى يتقدم بها أحيانا غير العارفين بهذا الجانب من العلم والعبادة ، كالسؤال عن اسم أب فلان ، أو أمه ، أو عدد أطفاله ، أو ما الى ذلك من أمور قد تليق بمستوى قارىء كف أو ورق أو ملازم جن أو مخادع ، ولا تليق بمستوى أرواح علوية تدانى البشر برحمة وهداية من عند الله . ولذلك كنا نضيق أحيانا بمثل هذه الاسئلة ، ولكن الروح الزائر كان دائما يجيب اجابة توجيهية للسائل ليرقى بالسؤال الى مستوى العلم فى الله ، ولنا ليتسع صدرنا لكل سؤال فقد سبق للكثيرين منا أن مروا بمثل هذا الدور .

٨ — تخصص الجلسة (أو بعض الجلسة) أحيانا للعلاج ، ويروى المرضى الكثير عن فضل الله ومنه عليهم بالشفاء .

٩ — لسنا ندعو أحدا للروحية الا بمثل ما تدعو أخاك للصلاة أو الصوم مثلا أو لسائر طاعات الله . ولا هدف للوسيط أو أى واحد من حوله الا مرضاة الله ، وليس هنالك أى مقابل مادى أو غيره يمكن أن يدع مجالا للشك فى خلوص هذه العبادة وتمحضها للتقرب الى الله . ولا أود أن أقول أكثر من أن القائمين بالروحية على هذا النحو يبذلون الكثير من الجهد والمال ، وأنا أقلهم فى هذا المضمار ، وان نسبت الصحف الى شرف القيادة ، والله يعلم أننى لست الا أحد الرواد المتواضعين فى هذا الميدان .

١٠ — آفة المجادلين فى شأن الروحية أو غيرها ممن يجادلون عن غير علم ، فالمرء عدو ما يجهل ، قد يكون الانسان فى قمة العلم فى بعض الميادين ، ويكون جاهلا حقا لميدان آخر كالروحية ، فاذا غلبت عليه طبيعة العالم قال ((لا أعلم)) وان غلب عليه ((كبرياء العلم)) أو ((كبرياء الجهل)) أفتى عن غير علم ولذلك فتحنا باب حضور الجلسات الروحية لكل راغب فى التعرف عليها ولو لم يكن مؤمنا بها ، ويقيننا الذى أكدته التجربة أن الخبر ليس كالعيان . وقد كان المرء يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد بدنياه بديلا ، ثم يخرج من عنده وهو لا يريد بآخرته بديلا .

والله أسأل أن يجعل لنا نصيبا من التأسى برسول الله العظيم ، وأن يلهم الجميع التوفيق فى سبيل مرضاته .

تعقيب

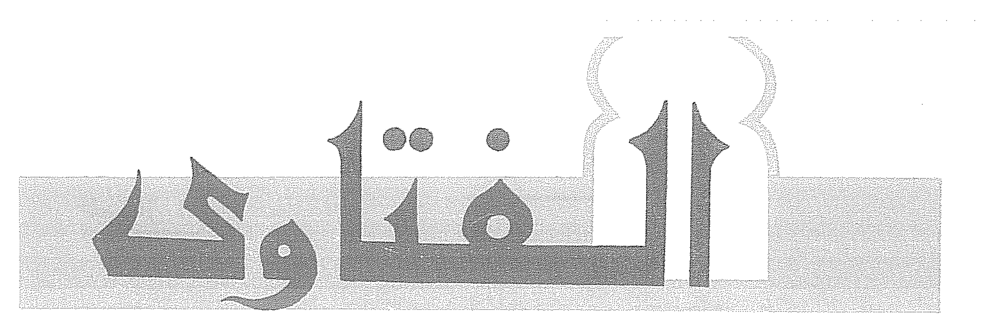
قرأت المقال المنشور فى العدد (٦٢) الذى كتبه الاستاذ عبد العزيز شرف والذى عرض فيه كتاب : ((الاسلام : الصراط المستقيم)) ولاحظت أن الكاتب يعتقد أن الكتاب لم يترجم الى اللغة العربية حيث يقول فى ختام مقاله (وحسب هذا الكتاب أن تكون له هذه القيمة لندعو مع أستاذنا على أدهم الى ترجمته الى اللغة العربية وأن نحتفى به حفاوة تليق بقيمته العلمية) ..

ويبدو من هذه الفقرة التى نقلتها أنه سبق للاستاذ الكبير على أدهم أن دعا الى مثل هذه الدعوة .

وحيث أن الكتاب المذكور قد تداولته الايدى باللغة العربية منذ عام ١٩٦٣ حيث ترجمه الاستاذ محمود عبد الله يعقوب ونشرته : دار مكتبة الحياة ببيروت وشركة النبراس ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (بغداد — نيويورك) .

وقد راجع الترجمة الاستاذ نور الدين الواعظ وقدم له بمقدمة ضافية جاءت مكملة لموضوعات الكتاب تحدث فيها عن الاسلام : عقيدة ورسالة كما تحدث عن الجانب السياسى من رسالة الاسلام .. وعن الشورى فى الحكم وعن طريقة انتخاب الامام وعن القضاء واستقلاله .. وعن صيانة حرية المواطنين فى ظل الاسلام .. وعن مكان القوة والاعداد منه وعن الجانب الاقتصادى من رسالة الاسلام والاسس التى يقوم عليها وعن الجانب الاجتماعى فى هذا الدين .

البقية ص ٩١



زكاة الاسهم

السؤال :

بعض الناس يشترى أسهما (كمدخرات) وينتفع بعائدها ، وبعضهم يشترى أسهما للتجارة ، فكيف يزكى كل منهما الاسهم التى يمتلكها ؟

وقد تفضل بالاجابة على هذا فضيلة الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة :

ان أسهم الشركات لم تكن فى الماضى معروفة بالصورة التى عليها فى الحاضر ، وان كان معناها له أصل فقهى .

ولذلك ما نبديه من رأى ليس مأخوذا من آراء الفقهاء بالنص ، ولكنه مستنبط من تطبيق القواعد الفقهية ، أو ما يسمى فى عرف علماء الاصول بتحقيق المناط .

لقد قرر الفقهاء أن الزكاة تجب فى المال النامى ، ويقولون سببها مال نام بالقوة ، وبتطبيق هذه القاعدة على الشركات نجد أن الزكاة واجبة فيها لأنها أموال نامية بالفعل .. ولكن كيف تجب الزكاة : أتجب بنسبة من رأس المال ، اذا حال عليه الحول ، أم تجب بنسبة من الغلات التى تخرج كل عام ؟

نجد أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أخذ الزكاة من الاموال المنقولة بربع العشر من رأس المال ، فعشرون مثقالا يجب فيها ربع العشر وهو نصف دينار .

والاموال الثابتة وهى الارض الزراعية والاشجار ، تجب الزكاة فى غلاتها ، وهى الزروع والثمار ، يجب العشر ان سقيت بغير آلة ، ونصف العشر ان سقيت بآلة ، ولما كانت الشركات أشبه بالمال الثابت .. رأينا أن تكون الزكاة فى غلاتها بعشر الصافى بعد كل النفقات ، فمن يقتنى أسهما ، ليأخذ غلاتها عليه عشر ما يئول اليه بعد الضرائب المستحقة .

واذا كان يتجر فيها بالبيع والشراء ، فان الاسهم ذاتها تكون سلعة تباع وتشترى ، وتجرى فيها زكاة عروض التجارة ، فتكون زكاتها بربع العشر فى قيمتها بعد حولان الحول ، وهذا هو حكم الحال الثانية .

هذا ما انتهى اليه رأيى ، فان كان حقا فمن توفيق الله ، وان كان خطأ فالله تعالى أعلم بالصواب .

□ □

لمس المرأة

السؤال :

أنا أتبع المذهب الشافعي ، والمعروف أن الشافعي يرى أن لمس المرأة ينقض الوضوء ، واننى أشتغل فى محل تجارى ففى بعض الحالات تلمس يدى يد المرأة عندما أعطيها البضائع التى تشتريها عفوا بدون تعمد وبدون أى قصد فهل هذا ينقض وضوئى أو لا ؟

ع ٠ م — الكويت

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الشيخ على البولاقى :

اختلف الائمة رضى الله عنهم فى انتقاض الوضوء بهذا النوع من اللمس الذى وصفه السائل الكريم بأنه غير مقصود فقال الشافعية : انه ينتقض به الوضوء ، وقال الحنفية والمالكية والحنابلة والظاهرية وغيرهم انه لا ينتقض الوضوء به ، ويجوز للمسلم تفاديا للحرج والضيق أن يقتدى بهؤلاء الائمة فى عدم انتقاض وضوئه ، وقد روى البيهقى عن القاسم بن محمد أنه قال : ((**اختلاف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لعباد الله**)) ، وروى أيضا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : ((**ما سرنى لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا الأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة**)) وروى أيضا عن يحيى بن سعيد أنه قال : ((**أهل العلم أهل توسعة ، وما برح المفتون يختلفون فيحلل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا**)) ، وأخرج الخطيب البغدادى عن اسماعيل بن أبى المجالد قال : ((**قال هارون الرشيد لمالك بن أنس : يا أبا عبد الله نكتب هذه الكتب — يعنى مؤلفات الامام مالك — ونفرقها فى آفاق الاسلام لنحمل عليها الامة ، قال : يا أمير المؤمنين : ان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الامة ، كل يتبع ما صح عنده ، وكل على هدى ، وكل يريد الله تعالى**)) .
واذا أراد السائل الكريم بيان وجهة أنظار الأئمة المختلفين فى هذه المسألة فليرجع الى مقال : (انتقاض الوضوء باللمس نموذج لاختلاف الائمة) .

□ □

العادة الشهرية

السؤال :

أنا مسلمة أعبد الله وأطيعه ، ومشكلتى فى أننى كلما جاءتنى العادة الشهرية فان والدتى تجعلنى لا أقرب مكانا ولا ألمس شيئا بل تظن أن كل ما أمسه ينجس ، فهل لها حق فى هذا .
أرجو منكم المشورة الحق ولكم شكرى وامتنانى .

مسلمة

وقد تفضل بالاجابة على هذا السؤال فضيلة الشيخ محمد الاشقر :

(المسلم لا ينجس) هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة حينما كان أبو هريرة جنبا فانخنس وذهب فاغتسل .
وكذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم زوجته عائشة أم المؤمنين أن تأتيه بالخمرة (مفرش السجود) من المسجد فقالت : انى حائض . فقال : « ان حيضتك ليست فى يدك » .

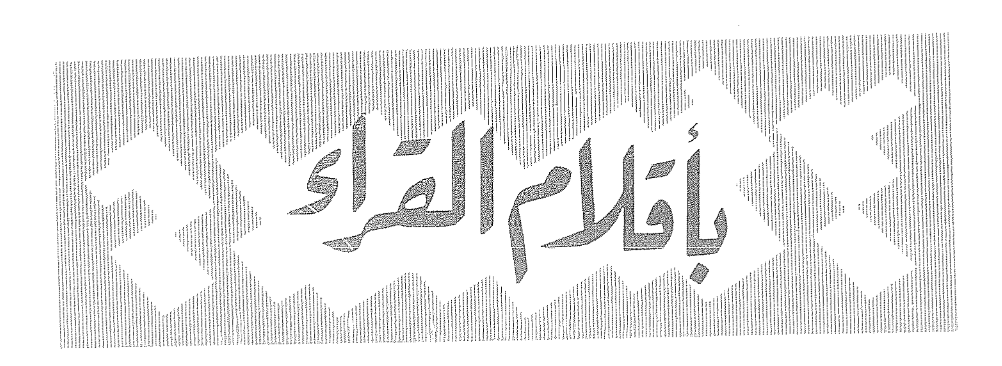
هذا يدلنا على أن الشريعة تعتبر الحائض والجنب طاهرين فى بدنهما وملابسهما ما عدا ما أصابه الاذى منهما ، ولا ينجس أى شىء بملامستهما له .

وأصل الفكرة الخاطئة القائلة بنجاسة الحائض ونجاسة ما تلامسه الحائض ، مأخوذ عن اليهود ، فقد كان اليهود اذا حاضت المرأة عندهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ، بل يسكنونها فى غرفة منفصلة ، وكان هذا من الاغلال التى وضعها الله عمن تبع شريعة الاسلام : كما قال الله فى وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف .. وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .. ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم) ، ومن المعلوم عقلا أن المرأة اذا حاضت فالدنس والاذى انما هو فى المحل المعين ، وأما اليد والرجل وسائر البدن فليس فيه أذى ، وهذا هو مقتضى التفكير السليم ، فمن تشدد واعتبر النجاسة عامة للبدن كله فهو مغال متشدد ، ومن لم يعتبر فى الحائض أى نجاسة ولو فى المحل فهو متساهل مفرط ، والاسلام هو دين الفطرة الموافق للعقل السليم .

بريد الوعي (بقيـــة)

ثم راح يعرض فصول الكتاب فى اختصار وشمول موضحا رأيه فى قيمة كل فصل مؤيدا حينا .. كقوله مشيرا الى البحث الذى كتبه المرحوم شفيق غربال : « وأعتقد بأن هذا البحث فريد فى بابه لما احتوى من ابداع علمى ونظرة تحليلية شاملة لتطور الآراء والحركات فى التاريخ الاسلامى وأن كاتبه بحق من الأفذاذ العلماء .. ومعترضا حينا ولكن برفق ولين وأدب جم كقوله فى نهاية تلخيصه للبحث الذى كتبه محمود شهابى والمتعلق بموضوع الشيعة » وقد تضمن بحث الاستاذ شهابى آراء تقبل المناقشة الا أننا آثرنا السكوت عليها وتركناها الى القارىء الكريم حرصا على احترام الآراء وأداء للامانة العلمية .
لهذا سرنى أن أحيطكم والاستاذ الكاتب بهذا علما .. وليحتف أخونا بهذا الكتاب .. احتفاء يليق بقيمته العلمية والمنهجية وليشكر معى المترجم على ما بذله من جهد .. وصفه الاستاذ نور الدين الواعظ بأنه : « كان جهدا جبارا نبع من ايمانه العميق فدفعه الى سهر الليالى الطوال فى رفقة هذا الكتاب وهو يترجم دقائقه العلمية والفلسفية والدينية بروح لا تعرف الملل .. »

ابراهيم بن عبد الرحمن البليهى ــ الرياض ــ السعودية



منطق الاسـلام

كتب الأخ مصطفى يوسف راجح بكلية حقوق عين شمس تحت هذا العنوان يقـول :

لقد عود الدين الاسلامى مفكريه ، ورجالاته من العلماء والفقهاء أن يكونوا باحثى حقيقة ، يعنى ألا يتعصبوا لرأى لمجرد أنه يخالف ما درجوا عليه وعلموه ، يعنى أن الاسلام دين منطق وعقل منذ اللحظة الأولى ، أدوات المنطق هى العقل واللغة والقلم ، وأول ما يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل يطلب منه أن يقرأ فيقول : (**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**) فالعلم هنا شرط للوصول الى الله ، والعالم هو الذى يستطيع أن يسلك الطريق بنور علمه ، وهو قبل كل شىء لا يتلقى الا عن اقتناع ، ولا يجادل الا عن اقناع . وتاريخنا الاسلامى ملىء بالعلماء المخلصين ، الذين رباهم الاسـلام خير تربية ، فها هو الشافعى رضى الله عنه يقول : (**ما ناظرت أحدا قط ، فأحببت أن يخطىء وقال ماكلمت أحدا فأحببت ألا أن يوفق ويسدد ويكون عليه رعاية من الله وحفظ ، وما كلمت أحدا قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو لسانه ، وقـال ما أوردت الحجة على أحد فقبلها منى الا هبته واعتقدت محبته ، ولا كابرنى أحد على الحق ، ودافع الحجة الا سقط من عينى ورفضته**) . وذلك أقصى ما يرجو علم المنطق أن يصل اليه بمن آل على نفسه مهمة الوصول الى الحقيقة العلمية أو الروحية . والاسلام فتح المنافذ المسدودة التى أغلقتها الديانـات الأخرى ، وجعل شرط الايمان التفكر فى آيات الله فى الانسان قديما وحديثا ، ولفت نظر المسلم أو القارىء الباحث الى سير السابقين وما آلوا اليه ، وهى دعوة صريحة وواضحة لدراسة الديانات القديمة ، والنظر فيها ووضعها موضـع البحث لكى يظهر الحق من الباطل ، وفى ذلك يقول عز وجل فى محكـم آياته فى سـورة يوسف : (**الر تلك آيات الكتاب المبين . انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت قبله لمن الغافلين**) .

والقرآن الكريم ملىء بالآيات البينات التى تزخر بالدلائل الواضحة لسير

الأولين ، وكيف ضلوا وأضلوا ، فالله تعالى يقول فى سورة الحجر : **(ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين . وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن)** .

والله سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم حث على البحث الدائب المستمر

والكشف والتنقيب ليكشف الانسان وليعلم وليرى عظمة الخالق فى مخلوقاته ، فالله سبحانه وتعالى يقول : **(قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)** والسبق المنطقى واضح كل الوضوح وبين وظاهر فى خطاب القرآن لكل زائغ مشرك بالله ، وذلك ليصل به الى الحقيقة الدينية ، وليهديه سواء السبيل .

ولسنا نقول شيئا جديدا اذا قررنا أن الاسلام بهذا السلوك الالهى سبق المناهج الحديثة التى تضع الأصول العريضة والتفاصيل الكثيرة للبحث العلمى كى تصل الى الحق . .

أبواق شرقية

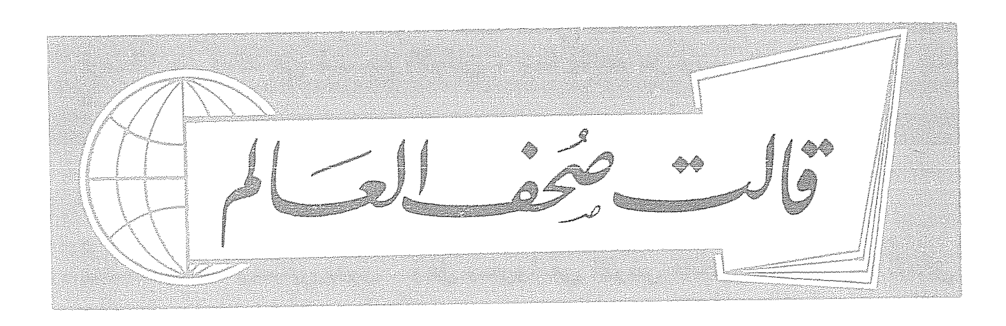
ويقول الأستاذ عبد الرحمن أبو شادى تحت هذا العنوان :

تسارع هذه الأبواق البشرية بالتقاط كل مايظهر فى المغرب من آراء ومذاهب وأفكار ونظريات ، كما يلتقط المذياع الموجات القادمة من محطة الارسال . . ثم تحاول أن تجعل لها السيادة والذيوع فى حماسة غريبة واستماتة فى نشرها كأن هذا العمل نوع من الرق الفكرى يعلن الولاء لسادته فى كل مناسبة وبغير مناسبة .

والرقيق يجب أن يكون تابعا لأى صعلوك يقول كلاما أو ينشىء نظرية أو يؤلف مذهبا ، فيجب على الشرق العربى المسلم أن يقول آمين، وأن يسلم بالنبوغ والعبقرية من أول جولة كأن النظرية أو المذهب أو الكلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،وهم مع ذلك يجادلون فى كلام الله ويمترون فى وجوده . .

وبلوى المسلمين والعرب والشرقيين بهذه الامعات أشد من سهام أعدائهم ، والغرب والشرق والشمال والجنوب والجنس والقبيل حواجز مصطنعة ما كان ينبغى لها أن تقوم فى وجه أخوة البشر ، ولا حرج على الغربى حين تعلم من الشرقى أو على الشرقى حين يتعلم من الغربى ما دام الوصول الى الحقيقة هدف الجميع والاخلاص فى السعى اليها رائد العالم والمتعلم ، وقديما تعلم ابن آدم القاتل الدفن من غراب ، فكان صاحب فضل عليه ، والقصة فى سورة المائدة ، وأحاط الهدهد بما لم يحط به سليمان ، ولكن ماذا نفعل اذا كانت هذه المذاهب الخبيثة تستهدف ضياع شخصية الأمة وفناءها فى غيرها من الأمم وتمثل معنوياتها وابادة كل ما يسمى اسلامى .

فاذا أراد المحامون عن شخصية الأمة أن يدافعوا عن كرامتها وعدم ذوبانها فى غيرها قامت القيامة . .



لبنان

كتبت صحيفة الرأى العام الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

أيا كانت النتائج العسكرية التى أسفر عنها العدوان الاسرائيلى على لبنان الحبيب ، فان المعارك التى شهدتها أرض لبنان كانت وستبقى واحدة من أهم العلامات المميزة لتاريخه الحديث . فليس هاما أن القوات الاسرائيلية تمكنت من التوغل داخل الارض اللبنانية وان طائرات العدوان قد قصفت مواقعه وقراه ، ذلك أن كل عدوان فى العالم قادر على ارتكاب الجريمة .

ولكن المهم أن نلاحظ ما رافق العدوان الاسرائيلى الجديد من مظاهر عسكرية واستراتيجية يمكننا القول أن أولاها كانت فى قيام الطيران السورى الذى كان بعد حزيران أكثر أسلحة الجيوش العربية فعالية فى الجو ليشترك فى صد العدوان عن لبنان كما اشتركت القوات الاردنية والعراقية بقصف قوات العدو فى الجبهة الاردنية مما يؤكد وحدة الحياة والمصير بين دول الوطن كلها ومما يشكل اختبارا رائعا لمجابهة واحدة ضد العدو الاسرائيلى لا تسمح له بالانفراد بدولة عربية فى عدوانه .

ان قيام القوات السورية والعراقية والاردنية بالمشاركة فى مقاومة الهجوم الاسرائيلى ظاهرة سوف تظل من أبرز الاحداث السياسية — العسكرية فى المنطقة لانها تجىء تجسيدا فعليا لاقوال كثيرة عن وحدة خط المواجهة وعن وحدة الصف ووحدة المصير .

فلقد كان العدو يتصرف دائما على أساس القتال ضد دولة عربية واحدة مما يفسح له فى مجال التفوق العسكرى ولكن المشاركة قد أعطت العدو وعلمتنا جميعا الدرس الذى يجب ألا ننساه ، والذى نسيناه طوال السنوات الماضية وبعد حزيران بالتخصيص .

فقد كان العدو يهاجم على جبهة قناة السويس فلا تنطلق رصاصة واحدة من الجبهة الشرقية وكان العدو يهاجم الجبهة الشرقية ، فلا تنطلق رصاصة واحدة من الجبهة الغربية اسنادا للعمليات فى الاردن أو سورية .

ولكن قتال اليوم قد قلب الصورة وغير الاستراتيجية العسكرية ونقل أحاديث وحدة المصير الى الساحة الوحيدة التى يثبت فيها الدم وحدة الحياة ، فى وجه العدوان الاسرائيلى المدعم بالتأييد والسلاح من أمريكا التى اثبتت فى سكوتها عن العدوان على لبنان أنها الوجه الآخر للصهيونية القبيح ، وانها آخر ما يمكن للبنان أن يعتمد عليه لحماية حدوده وأرضه .

بشائر معركة المصير

ويتحدث فضيلة الشيخ نديم الجسر فى مجلة ((جوهر الاسلام التونسية)) عن بشائر معركة المصير ، فيقول عن أخوة المسلمين :
أن اخوة المسلمين ، على اختلاف أقطارهم وأعراقهم وألوانهم ومصالحهم الدنيوية ، ليست من نوع الاخوة الوطنية ولا من نوع العصبية ولا من نوع الرابطة الاجتماعية ، التى تشد الأواصر بين الخلطاء والشركاء حول مصالحهم الاقتصادية والمعاشية ، ولكنها أخوة من صميم العقيدة ولا يتم اسلام المسلم ولا يتحقق ايمانه الا اذا استقرت فى قلبه استقرارا وجدانيا ينسى معه كل مصلحة شعوبية أو مذهبية أو عصبية أو اقليمية أو عائلية أو شخصية أو اقتصادية أو معاشية حتى يجعل هذه المصالح كلها تحت قدمه اذا تعارضت مع تلك الاخوة الاسلامية المقدسة .

ولا يفترن أحد من المسلمين أو غير المسلمين بما يراه اليوم فى هذه الاخوة من تخلخل عند بعض ضعفاء النفوس فان هؤلاء قلة . ومثلهم عند الأمم كثير ولا سيما الأمم التى دخلت زمنا طويلا تحت حكم الغزو والاحتلال . ولكن ما من مسلم مهما بلغ رجسه فى الخيانة ومهما بلغ الثمن الذى باع به نفسه الا ويجد فى سويداء قلبه اذا هو خلا فى سواد الليل الى نفسه غصة أليمة فى الفؤاد ، وكربا ممضا فى الضمير ما دام يؤمن بالله وبأن محمدا رسول الله .

هذه حقيقة يعرفها كل مسلم من نفسه وان جهلها أو شك فيها غير المسلمين وكيف لا يكون المسلم كذلك اذا كان يؤمن بالله ورسوله ، وهو يسمع قول الله (انما المؤمنون اخوة) وقوله تعالى (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم . اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) .

ويسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) وقوله صلى الله عليه وسلم (من بات ولم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (من غشنا فليس منا) وقوله (من حمل علينا السلاح فليس منا) وقوله (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وقوله صلى الله عليه وسلم (اذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار) .



اعداد : ع. ب.

الكويت : شرف سمو أمير البلاد المعظم حفل تخرج أول دفعة من ضباط الكلية العسكرية وقد ألقى سعادة وزير الداخلية والدفاع خطابا بهذه المناسبة .

□ أبلغ سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء السفير اللبنانى لدى الكويت أن الكويت أميرا وحكومة وشعبا تقف الى جانب لبنان فى محنته وأن الكويت مستعدة لكل مطلب يريده لبنان .

□ قام الفريق حردان التكريتى نائب الرئيس العراقى بزيارة البلاد فى الشهر الماضى وقد أجرى مع المسئولين مباحثات هامة حول القضايا العربية الراهنة .

□ تم الاتفاق بين الكويت والسعودية على تقسيم المنطقة المحايدة بين البلدين وقد تسلمت الكويت يوم ٢٠ الماضى ميناء سعود ومنطقة الوفرة .

□ أعلن مدير الادارة المركزية للاحصاء النتائج الاولية لتعداد السكان الذى جرى فى الشهر الماضى وبلغ عدد السكان (٧٣٣١٩٦) نسمة منهم (٣٤٥٨٩٨) كويتيا ، و (٤١٦٦٥٨) غير كويتى .

□ أكدت الكويت للمبعوث المصرى د. حسن عباس زكى موقفها الحازم وايمانها بالقضية العربية وأنها مستعدة لكل التضحيات .

□ اتفقت الكويت وباكستان على وضع برنامج طويل الامد للتعاون بين البلدين المسلمين فى مجال الاغراض السلمية للطاقة الذرية .

□ سلم السفير الكويتى فى باكستان المبالغ التى تبرعت بها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الى الجامعة المحمدية براولبندى ، وقد تلقت الوزارة رسالة من جماعة الفكر الاسلامى فى باكستان تطلب مساعدتها بالكتب الاسلامية .

□ زار الكويت وفد اسلامى من تايلاند حيث شرح للمسئولين أحوال المسلمين فى تايلاند وحاجتهم الماسة الى الدعم المادى والثقافى .

□ بعثت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الى سفارة الكويت فى لندن بناء على طلبها كمية من ترجمة معانى القرآن الكريم بالانجليزية لتوزيعها على المسلمين فى لندن .

□ عاد معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية من جولة زار فيها بعض الهيئات والمراكز الاسلامية فى أوربا لدراسة أحوالها .

القاهرة : عاد مبعوثو الرئيس جمال عبد الناصر من جولتهم فى الدول العربية بعد مشاورات أسفرت عن وحدة الصف العربى فى وجه المساعدات العسكرية لاسرائيل .

□ يتوقع العسكريون تصاعد العمليات الحربية ضد العدو فى هذا الصيف .

□ سيقوم فضيلة شيخ الازهر على رأس وفد من العلماء بجولة فى الدول الاسلامية للدعوة الى الجهاد لتحرير الارض العربية والقدس من الاحتلال الاسرائيلى تنفيذا لقرارات المؤتمر الخامس لمجمع البحوث .

□ افتتح فى جامعة الازهر أول معمل نووى وسيقوم المعمل بدراسات نووية متقدمة .

□ عقد المؤتمر السابع للمجلس الوطنى الفلسطينى ، وحضره مندوبون عن جميع المنظمات الفدائية .

السعودية : بعث المركز الاسلامى فى ويلز بانجلترا رسالة شكر لجلالة الملك فيصل على مساعدأته المادية والمعنوية للمركز .

☐ وجه الهلال الاحمر السعودى رسالة الى الجمعيــــة الدوليــــة للصليب الاحمـــــر يلفت نظرها الى استهتار اسرائيل بالقوانـــين الدولية لحقوق الانسان .

الاردن : أمر الملك حسين بانشاء كلية لأبناء الشهداء تتسع لألف وخمسمائة طالب وتضم أقساما أبتدائية واعدادية وثانوية ومختبرات علمية وميكانيكية وكهربائية .

☐ اجتمع فى الاردن وزراء المواصلات والنقل فى السعودية والاردن وسوريا لدراسة مشروع اعادة تسيير الخط الحديدى الحجازى وتأمين نفقات هذا المشروع .

☐ عقد فى أواخر الشهر الماضى اجتماع لموجهى التربية الدينية لبحث أفضل الوسائل لتحسين أسلوب تدريس التربية الدينية فى المدارس الاردنية .

العراق : اشتركت القوات العراقية المتمركزة فى الجبهة الشرقية فى صد الهجوم الاسرائيلى على لبنان يوم ١٢/٥ الماضى .

سوريا : خاضت سوريا المعركة مع لبنان وقد أسـقطت للعدو ثلاث طائرات اسرائيلية فى الاغـــــارة على لبنـــــان يوم ١٢/٥ الماضى .

لبنان : أغار العدو الاسرائيلى على جنوب لبنان فى أوائل الشهر الماضى وقد تصدى له الجيش اللبنانى وقوات الفدائيين الفلسطينيين .

☐ تبرع الملك الحسن الثانى ملك المغرب بمائة ألف دولار لمؤسسة الاخطل الصغير بهدف انشاء مؤسسة عربية ثقافية تحمى التراث العربى .

ليبيا : أصدر مجلس قيادة الثورة قانونا لحماية الاخلاق يقضى بمعاقبة كل من يقوم بدور تمثيلى ينافى الاخلاق ومعاقبة كل من ترتدى الثياب القصيرة ومن يعاكس النساء فى الشوارع والطرقات .

تونس : نعت تونس فى الشهر الماضى فضيلة العلامة الفاضل بن عاشور مفتى تونس وعضو مجمع البحوث الاسلامية وعضو رابطة العالم الاســـلامى « الوعى الاسلامى » تشارك العـــالم الاسلامى أساها وترحمها على الفقيد الكبير .

الجزائر : بحث العقيد القذافى رئيس مجلس الثورة الليبى مع الرئيس بومدين تدعيم التعاون بين دول المغرب العربى وذلك فى زيارة قام بها القذافى الى الجزائر فى الشهر المـــاضى لمدة ثلاثة أيام .

المغرب : قدم أول سفير موريتانى فى المغرب أوراق اعتماده لجلالة الملك الحسن .

البحرين : وافق مجلس الامن بالاجماع على تأكيد رغبة شعب البحرين فى أن تصبح دولة البحرين دولة عربية مستقلة ونتمنى للشقيقة المسلمة تقدما مطردا فى عهد الاستقلال .

ايران : رحب مجلس الامة الايرانى بأغلبية ساحقة بقرار مجلس الامن الموافقة على تحقيق رغبة شعب البحرين فى استقلاله وعروبته .

تركيا : عقد فى تركيا أوائل الشهر الماضى مؤتمر قمة ثلاثى حضره الرئيس الباكستانى وشاه ايران والرئيس التركى لبحث القضايا السياسية والاقتصادية لبلادهم وقد أيد الزعماء الثلاثة ضرورة انسحاب اسرائيل من الارض العربية .

باكستان : سيعلن قريبا دستور جديد فى باكستان يتمشى مع الروح الاسلامية وسيصبح الاسم لباكستان الجمهورية الاسلامية الباكستانية .

اقرأ في هذا العدد

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة مكة المكرمة ص.ب (٤٦)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة مكة ص.ب (٤٦)

جدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى — السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها — المنامة — السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمود قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب — ص.ب (٢٨) حضرموت .

دبى : ساحل عمان ص. ب (٢٦١) — السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية — السيد حسين قمر .

تعز : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع — بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع — بيروت — ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء — مكتبة الوحدة الوطنية — السيد احمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب — ص.ب (١٣٢) — السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب (٢٨٠) — السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

مع الخـــالدين ...

أبو الريحان البيروني

* ولد أبو الريحان محمد بن احمد البيرونى في ٢ ذى الحجـــة ٣٦٢ هـ فى قرية صغيرة قرب مدينـــة كات عاصمة خوارزم وهــذه المدينة تسمى الآن مدينة البيرونى .

* كان من أسرة فقيرة وقد عمل فى صباه مساعدا لأحد علماء النبـــات مما ربى فى نفسه ملكة البحث الطبيعى .

* تعرف فى شبابه على الفيلسوف الاسلامى ابن سينا وزامله وكانت لهما المكانة في قصر نوح بن منصـــور الســـامانى وظـــلا وفيين للسامانيين حتى سقط ملكهم فارتحلا معـــا الى امير جرجـــان الذى دعاهما كثيرا اليه .

* رجع الى وطنه خوارزم بعد مقتل امير جرجان واحتل منصبا سياسيا هاما الى جانب عمله فى مجلس العلوم مع ابن سينا وابن مسكويه

* احبه الغزنويون — الذين تولوا الامور فى خوارزم — وشجعوه على ابحاثه العلمية .

* تجلى منهجه العلمى فى الجد والمثابرة والتجرد فى طلب الحقيقة — بعيدا عن التعصب وضرورة التماس الأشياء من مصادرهـــا الأولى والملاحظة والتجربة ثم اعتبار الحدس والالهام أو ما يسميه (التوفيق من الله تعالى) .

ولذلك فهو بحق من أوائل الرواد المســـلمين للمنهج العــمى الذى نقلته اوروبا فيما بعد .

* توصل البيرونى الى كثير من النظريات العلميـــة واحرز للمسلمين السبق فى تأسيس العلوم الطبيعيـــة على اسس علمية مـــا زال العلماء يسيرون عليها حتى اليوم .

* بلغت مؤلفاته ١٨٠ كتابا عدا الرسائل الصغيرة ، من هذه الكتب : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولـــة (وكتـــاب القانون المسعودى) .

* مات فى غزنة سنة ٤٤٢ هـ .

عبد المعطى بيومى